AMERICAN UNIVERSITY
LIBRARY
OF BEIRUT

N. MAKHOUL
BINDERY
10 OCT 1969
Tel. 240458

297.48
R56gA
c.1

غذاء الأرواح

تأليف

علي رفاعي

مفتش الوعظ بالأزهر

الطبعة الثالثة

جمادى الآخرة سنة ١٣٧٤هـ — ١٩٥٥م

الناشر

مكتبة الخانجي بمصر

مطبعة الاعتماد بمصر تليفون ٤٥٥٤٥
شارع جمال الأكبر - عابدين

مقدمة الطبعة الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى جاء بالهدى والرشاد. فأضاء الله برسالته المشارق والمغارب. وحقق بدعوته للنـــاس الحرية والكرامة والعزة والعدل والرحمة والإخاء والمساواة. وبعد

فهذه هى الطبعة الثالثة لهذا الكتاب الذى تلقفته أيدى القراء الكرام فى طبعته الأولى والثانية تفضل بطبعه على حسابه الشاب الغيور على دينه السيد الأستاذ محمد نجيب الخانجى جزاه الله خير ما يجزى من ينشرون دينه بنشر الكتب النافعة لأبناء الإســـلام وسيرى القارىء فى هذه الطبعة بعض أبواب لم تكن فى الطبعتين السابقتين.

أسأل الله أن يمنحه القبول وأن ينفع به إنه سميع مجيب ؟

المؤلف

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله فاطر السموات والأرض ، جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع ، يزيد فى الخلق مايشاء ، إن الله على كل شىء قدير . مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ، وما يمسك فلا مرسل له من بعده ، وهو العزيز الحكيم . يأيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم ، هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض . لاإله إلا هو فأنى تؤفكون . وإن يكذبوك فقد كُذبت رسل من قبلك ، وإلى الله ترجع الأمور . يأيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ، إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً ، إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير . الذين كفروا لهم عذاب شديد . والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير [1] » .

والصلاة والسلام على عَلَم الهدى ، ومشرق النور ، ومغرس الفضيلة ، ومنبع الإيمان ، سيد ولد عدنان ، المبعوث بصفوة

---

(١) سورة فاطر .

الأديان ، سيدنا محمد بن عبد الله ، إمام المرسلين ، وسراج العالمين ، وقدوة العلماء العاملين ، مَن وصفه مولاه بأجلّ الصفات ، وأثنى عليه أعظم الثناء ، فى قوله سبحانه وتعالى : « وإنك لعلى خلق عظيم » . وفى قوله عز شأنه : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رءوف رحيم » .

ورضى الله تبارك وتعالى عن أصحابه الذين جاهدوا فى الله حق الجهاد ، وكانوا لمن بعدهم الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة ، وفقنا الله لسلوك طريقهم ، والسير على منوالهم ، وهدانا بهديهم إنه نعم المولى ونعم النصير .

وبعد : فهذه هى الطبعة الثانية لكتابى « غذاء الأرواح » الذى كنت ألفته وأنا واعظ بمركز بنى مزار فى سنه ١٣٥٣ هجرية كطلب من انشرحت صدورهم لعظاتى ، وتيسر لهم سماع كلماتى ، فى غالب البلاد التى تنقلت فيها للوعظ والإرشاد والدعوة إلى الله . وقد رأيت إعادة طبعه منقحاً ، مضيفاً إليه كثيراً من المعلومات النافعة . والحكم الغالية .

هذا وإن الأساس الذى أرتشف منه ، والأصل الذى أرجع إليه — هو كتاب الله ، وحديث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . وسيرى المطلع على كتابى هذا إن شاء الله من النفائس أغلاها ،

ومن المحاسن أحلاها ؛ كما سيجد لذة نفسه ، وغذاء روحه ، من القصص الجميل ، وحوادث السابقين من الأولياء وصالحى المؤمنين: كل ذلك فى أسلوب سهل ، وعبارة أنيقة ، وألفاظ رشيقة .

وأسأل الله أن ينفع به ، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم ، ويختم لنا بالحسنى ، ويتولانا بالرعاية والتوفيق ، إنه مولانا ، نعم المولى ونعم النصير .

من هدى القرآن

الشجاعة فى الحق والتضحية فى سبيله

ونبذ التقليد الاعمى والتعصب الذميم [1]

بسم الله نبتدى ، وبنبيه الكريم نقتـــدى ، والسلام عليكم ورحمة الله .

استمعنا فى هذه الليلة المباركة لتلاوة سورة يس ، ويس من القرآن قلب القرآن ؛ تنفجر منها ينابيع الحكمة من أطراف الزمان فتسقى النفوس من سلسبيل العبرة فى المـاضى ، وتفيض على القلوب غدَق العظات فى الحاضر ، وتعاطى رحيق الهدى للمستقبل ، وذلك هو الروح والريحان فى رسالة سيد البشر ، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، الذى يقدم للإنسانية الحيرى معالم رسالته الكبرى : هداية تعمر القلوب بالهدى والتقى والعفاف ، وعـــدالة تسعد الشعوب بالإخاء والمساواة والإنصاف .

---

(١) أذيعت « باللاسلكى » بتاريخ ٢١ من شهر رمضان المعظم سنة ١٣٦٦ هـ وكان وفد مصر برئاسة المرحوم النقراشى باشا يدافع عن قضية مصر لدى مجلس الأمن

وما أرسل القوى العزيز رسوله إلا قوياً عزيزاً ، يدعو الناس بالقرآن الحكيم للعزة والرحمة ؛ والعزة لا تكون إلا صفة لعزيز قوى منيع ؛ والرحمة لا تكون إلا من قادر مقتدر . وهل هناك أقوى وأعز من القرآن . وينبغى أن يكون هذا شأن أمة القرآن الآن ، كما كان بالأمس .

فليس من الدين من دعا إلى ضعف ، ومن ارتضى مواقف الهوان ؛ لله العزة ولرسوله وللمؤمنين .

همتى همة الثريا ونفسى نفس حرتى المذلة كفرا

بسم الله الرحمن الرحيم « يس ، والقرآن الحكيم ، إنك لمن المرسلين . على صراط مستقيم . تنزيل العزيز الرحيم ، لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون » .

الانذار : صيحة ، والصيحة تهز القلوب ؛ ولكن الغفلة إن سيطرت على القلوب حجرتها وأصمتها فما تغنى النذر .

كذلك كان حال قوم سفهوا أنفسهم ، وقفوا حيال دعوة النبى الكريم وقفة عناد وتصلب ، وجدوا آباءهم فى غيهم يعمهون فقالوا ، ويا بئس ماقالوا « إنا وجدنا آباءنا على أمة ، وإنا على آثارهم مقتدون » .

ياويل من لم ينل هداية السماء ! وياويح من قلدوا من ساروا على عقائد ابتدعوها ، لا تتقيد بمعروف من حق ، أو ضابط

من واجب ، ولا تتخلق بخلق قويم ، أو تهتدى بعقل سليم ! .

وآفة الانسانية فى كل عصر ومصر هذا الصنف من الناس ، يحصر نفسه فى سجن من أفكاره المظلمة الضيقة ، فيشق ويشق الناس بآرائه الخاطئة المستنكرة ، لا يلتفت إلى مذاهب الحرية الفكرية المجدية ، ولا يمد ببصره إلى المصلحة العامة ؛ فهو دائما شاخص بعينيه إلى هوى نفسه ، أو منطو على غباوته . ولقد رسم القرآن الكريم صورة لهؤلاء الذين حقت عليهم كلمة العذاب : « لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون . إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى إلى الأذقان فهم مقمحون . وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً ، فأغشيناهم فهم لا يبصرون » .

وأمثال هؤلاء قلما تجدى معهم النذر مالم يتخلوا عن طباعهم المريضة ، أو تنجل الغشاوة المسدولة على قلوبهم وعقولهم ؛ وإلا فالأمر كما قال القرآن « وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون » .

والمسئولية العظمى واقعة حينذاك على التابعين الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، يسيرون وراء كل ناعق يسعى لمصلحته ، وإن كان فى ذلك هلاك بلاده وأمته . لهؤلاء خزى الدنيا ، ويوم القيامة يقولون لرؤسائهم :

« إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار؟ ! قال الذين استكبروا إنا كل فيها ، إن الله قد حكم بين العباد ! » .

ومسئولية المضلين مضاعفة ، وإثمهم عظيم : ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ، ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ، ألا ساء ما يزرون » .

أيها الإخوان الكرماء :

أسلفنا أن « يس » قلب القرآن . تتفجر منها ينابيع الحكمة فى عبرة الماضى ، وعظات الحاضر ، وهدى المستقبل .

فمن عبر الماضى أن الصراع دائم بين الحق والباطل ، وكانت وما زالت الغلبة للحق . ولكن الحق وإن يكن سيفاً قاطعاً إلا أن السيف لا يعمل إلا فى يدى بطل ، ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم جاء بالحق ، وحمل السيف وكان البطل . ولكم فى رسول الله أسوة حسنة . ولا عذر للمتقاعد المتخلف .

وقد أمر الله نبيه أن يلفت نظر أمته إلى عظات التاريخ الغابر ، وحوادث الأمم السالفة ، ويضرب لها الأمثال بما حدث فيها من صراع بين الحق والباطل فقال « واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون . إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعزّزنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسَلون . قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا

«وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون . وما علينا إلا البلاغ المبين» .

والعبرة فى سوق القصة : ترجع إلى أن التقليد الأعمى ينتهى غالباً إلى التعصب الذميم ، وكلاهما يؤدى إلى مصادرة الحرية العقلية ، ووأد الحياة النافعة ، مما جعل المتعصبين فى القصة التى بين أيدينا يقولون لرسلهم « إنا تطيرنا بكم ، لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم » .

ومن عظات الحاضر : أن حقوق الأمم اليوم تقتضى من طلابها صراحة فى مواجهة الناكص الشارد ، وتأييداً قوياً للرأى الصائب ، وليس من الحق أن يسكت المؤمن للباطل وما فى الباطل كبير يخشى ؛ والحق يعلو ولا يعلى عليه ؛ والحق إن وجد تضافراً فقد انتصر ؛ ويومكم للنصر فلا تسلموه للهزيمة بأيديكم . صيحوا فى وجه كل من يحاول تعطيل حقكم ، أو يعرقل قضيتكم ، ومن يستعدى الأجنبى عليكم : مكانك ! فإن للتاريخ حكمه ، وهو شديد الحساب .

والقرآن الكريم يرشدنا إلى أن الشجاعة فى الحق ، والصراحة فى إبدائه ، والتضحية فى الاستمساك به — فضائل لا تنبعث إلا من نفوس كريمة طلبت العزة فى الدنيا بعمل الأعزاء الأقوياء ،

وابتغت عند الله الخلود فى الآخرة فنالته بالتضحية والفداء . وتاريخ الدين حافل بسيَر الأبطال الذين اعتز بهم الحق ونكب بهم الباطل . يتمثل ذلك واضحاً فى قصة ذلك الرجل الذى ذكر فى هذه السورة بأعماله ولم يذكر باسمه ونسبه ؛ شأن الجندى المجهول الذى يفدى بنفسه وهو ينشد للخلود :

ولست أبالى حين أقتل مؤمناً على أى جنب كان فى الله مصرعى

اقرءوا قول الله تعالى « وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتَّبعوا المرسلين . اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون . وما لى لا أعبد الذى فطرنى وإليه ترجعون . أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون . إنى إذاً لفى ضلال مبين . إنى آمنت بربكم فاسمعون » . فبشره الله بالنعيم الخالد جزاء جهاده الصادق ، وصراحته فى الحق ، وإخلاصه فى التضحية ؛ فقيل له بعد أن أدى واجبه كاملا من قِبل مالك الملك ذى الجلال والإكرام « ادخل الجنة » . وهنا تجلى صفاء نفسه ، وطهارة قلبه ، فلم يعلق بقلبه غبار من الحقد على القوم الذين أراد هدايتهم وأرادوا إغواءه ، وظلوا يكيدون له حتى سفكوا دمه وأزهقوا روحه ؛ فلما قيل له ادخل الجنة ، ذكر قومه فى معرض الأسف على الخير الذى فاتهم ، لا على الشر الذى لحقه

منهم ، فقال « يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين » .

على أن الأمم التى تتنكر للخير وتلتوى على المصلحين ، لن يتخلف عنها العقاب الحاسم ، ولن تبذل السماء فى إهلاكهم جهداً ، أو تعانى فى ردعهم كدًا : « إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون » .

ومن دواعى عبر المستقبل . أن نأخذ اليوم بأسباب العلا ، فلا تنام ونطلب للآمال « كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه » .

أيها المؤمنون : إنما يفلح من تذكر وخشى الرحمن بالغيب ، ثم درأ الغفلة باليقظة ، وتخطى العبودية بالتحرر ، وتجاوز الرجعية بالتقدم . وغزا الجمود بالحركة ؛ والفلاحُ كل الفلاح لمن سمع ووعى وعمل بما علم : إنما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب ، فبشره بمغفرة وأجر كريم » .

والدنيا والدين زرع وحصد ، فاعملوا تنالوا ، وجاهدوا لنيل الحرية والكرامة تنصَروا : « كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ، إن الله قوى عزيز » .

اللهم إن القرآن كتابك ، والهدى به ومنه ؛ وإن القلوب

لتصدأ كما يصدأ الحديد ، وإن تلاوة القرآن جلاؤها من كل صدأ ، وشفاؤها من كل داء ، بتدبر معناه ، والاهتداء بهداه . « وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين » .

اللهم اكتب لبلادنا النصر والعزة والكرامة وانصرنا على القوم الكافرين إنك أنت القادر العزيز الحكيم .

بلاغة القرآن

سمع أعرابى النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ قوله تعالى : « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين » ، فسجد الأعرابى ، فقيل له فى ذلك ، فقال سجدت لفصاحته .

وحكى الأصمعى أنه سمع بنتا أعرابية فى السادسة تُنشد :

أستغفر الله لذنبى كله قتلت إنساناً بغير حله
مثل غزال ناعم فى دَله انتصف الليل ولم أصله

فقال لها : قاتلك الله ما أفصحك ! . فقالت : ويحك أيعد هذا فصاحة مع قول الله تعالى : وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه ، فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم ، ولا تخافى ولا تحزنى ، إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين » ، فجمع فى آية واحدة بين أمرين ، ونهيين ، وبشارتين ! .

وسمع بعض العرب قارئاً يقول : « والله غفور رحيم » بدل

« والله عزيز حكيم » فى آية : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءاً بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم » ، ولم يكن يقرأ القرآن ، فأنكر ذلك وقال : ليس هذا من كلام الله ؛ إذ الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل والعصيان ، لأنه إغراء عليه » .

والقرآن معجز من كل نواحيه : ألفاظ جزلة ، معان فائقة ، أسلوب لم يكن ولن يمكن لأحد أن يجاريه ، أحكام باهرة ، إخبار بالغيب ، شفاء لما فى الصدور ، فهو معجزة الإسلام الخالدة ، وأنواره المشرقة اللامعة ؛ من سلك طريقه نجا ، ومن اعتصم به عصم ، ومن دعا إليه هُدى إلى طريق مستقيم ، ومن التمس الهدى فى غيره خسر الدنيا والآخرة ، وذلك هو الخسران المبين .

ولقد اعترف بإعجاز القرآن أعداؤه قبل متبعيه ؛ فإن الوليد ابن المغيرة عم أبى جهل أعدى عدو للإسلام ، سمع مرة الرسول صلى الله عليه وسلم يقرأ شيئاً من القرآن فقال لقومه بنى مخزوم : « والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن ، وإن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وإنه يعلو وما يعلى عليه » .

ويكفى فى بيان إعجازه هذا التحدى للإنس والجن ؛ فمنزله جل جلاله يقول : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن

يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً .

والقرآن أنزله الله هداية للناس ورحمة ، وهو قانون سماوى ، من عمل به سعد فى الدنيا والآخرة . ومن أعرض عن اتباعه فإن له معيشة ضنكا .

القرآن ربيع القلوب ، رفع الله به أمما تمسكت به ، واتخذته نبراساً تستضىء بنوره ، وخفض به أمما أهملته وتركته ، فاستعمرها قوما آخرين ، وكتبها فى الأذلين .

القرآن كتاب الخلود والمجد والعظمة . فعار على المسلمين أن يهملوا شأنه ولا يحفظوا له جلاله ، إن قرىء لم ينصتوا له ، ولم يتدبروا آياته ، إن جلسوا فى مجلسه لم يتأدبوا بآدابه . فهو ينهى عن الغيبة وهم يغتابون ، وينهى عن تدبير السوء للناس وهم يدبرون ، وهو يأمر بالبر والتقوى وصلة الأرحام وهم يخالفون أمره . اتخذه السلف الصالح سبيلا للعظمة والسيادة ، وجعله بعض الناس طريقاً للإستجداء والسؤال ، يقرأونه على أفاريز الطرق وفى مركبات الترامواى ، وعلى قبور الموتى ، يسألون به الناس ؛ وما لهذا أنزل القرآن ! . وإن مسئولية ذلك تقع على ولاة الأمور . واجب أن يحفظ للقرآن جلاله وجماله ، فتمنع الحكومة المتسولين الذين اتخذوه حرفة للشحاذة والاستجداء . واجب على الحكومة

أن تمنع هؤلاء من قراءة القرآن على أفاريز الطرق وفى مركبات السيارات والقطارات والترموای ، لأن هذا ينافى جلاله وجماله .

وكما يجب ذلك على الحكومة يجب على العلماء أن يبينوا للناس أن هذا لا يليق ؛ وأن من يعاون هؤلاء المرتزقة المتسولين بالقرآن يرتكب جرما فى دينه . واعلموا أيها المسلمون أن القرآن لم ينزل للأموات ، إنما نزل للأحياء « لينذر من كان حياً » . فتنبهوا أيها المؤمنون واتقوا الله فى كتابه ، وخافوا يوماً يجعل الولدان شيباً .

هذا وإن مكاتب تحفيظ القرآن الكريم فى القرى كادت تمحى والأمل الباقى فى جمعيات تحفيظ القرآن التى ينشئها أهل الخير فى المدن وبعض القرى . وإنى أنصح إخوانى الوعاظ وأئمة المساجد أن ينشطوا فى الدعوة للإكثار من هذه الجمعيات النافعة ، وليدخروا ثواب ذلك عند الله تعالى ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا . وإلى عشاق القرآن الذين يرغّبون أولادهم فى تعلمه أسوق هذا الحديث : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ القرآن وعمل بما فيه ، ألبس الله والديه تاجاً يوم القيامة ضوؤه أحسن من ضوء الشمس فى بيوت الدنيا » . رواه أبو داود .

كلام الله أولى بالاصغاء من كلام الناس

قال أبو طالب المكى فى كتاب « قوت القلوب » : قرأت فى سورة الحنين من التوراة « يا عبدى أما تستحى منى ! يأتيك

كتاب من بعض إخوانك وأنت فى الطريق تمشى ، فتعدل عن الطريق وتقعد لأجله وتقرؤه وتتدبره حرفاً حرفاً حتى لا يفوتك شىء منه ، وهذا كتابى أنزلته إليك ؛ انظر . كم وصلت لك فيه من القول ، وكم كررت عليك فيه فتأملت طوله وعرضه ، ثم أنت معرض عنه ؛ أفكنتُ أهونَ عليك من بعض إخوانك ! . أى عبدى ، يقعد إليك بعض إخوانك فتقبل عليه بكل وجهك ، وتصغى إلى حديثه بكل قلبك ، فإن تكلم متكلم أو شغلك شاغل عن حديثه أومأت إليه أن كف . وها أناذا مقبل عليك ومتحدث لك وأنت معرض بقلبك عنى ؛ فجعلتنى أهون عندك من بعض إخوانك » ! .

وأحسب أن هذا العتب الإلهى يوجه إلى الذين يسيئون الأدب بالحديث مع من يجاورهم أثناء قراءة القرآن ، مخالفين أمر الله تعالى فى قوله « وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون » .

الايمان

قال الله تعالى : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير » .

يظن كثير من الناس أنهم متى نطقوا بالشهادتين « لا إله إلا الله محمد رسول الله » كانوا من المؤمنين الناجين الذين تتلقاهم الملائكة بالبشرى « سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين » . أجل : عددٌ

كبير من المسلمين يظن هذا وإن كان ينطق بالشهادتين عن طريق الميراث عن أبيه وتقليد غيره ، ومحاكاة أسرته بدون أن يدرك لهما معنى ، أو يقيم لأمر الله وزنا . وهذا الظن غير الحقيقة ، فليس كل من ادعى الايمان مؤمنا ، ولا كل من زعم الاسلام مسلما ؛ بل الايمان ما ثبت فى النفس وملك عليها حواسها ، وصدقه العمل . والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده : ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين » . ويقول النبى صلى الله عليه وسلم كما فى الصحيح « ليس الايمان بالتمنى ، ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل ، وإن قوما غرتهم الأمانى حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ، وقالوا نحن نحسن الظن بالله تعالى ، وكذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل » .

وإذا كان الإيمان ليس بالتمنى ولا بالحسبان والظن ، فإليك بيان حقيقته كما نطق بذلك كتاب الله تعالى وسنة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم :

حقيقة الإيمان بالله : الإقرار باللسان ، والتصديق بالقلب بأن للعالم إلها واحداً ، لا شريك له ، يدبر الأمر ، ويفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، لا معقب لحكمه ، يعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، بيده الخلق والأمر ، وهو على كل شىء قدير .

الإيمان بالله : أن تعتقد أنه سبحانه عظيم ، وأن عظمته لا تدانيها عظمة ، وقدرته ليس مثلها قدرة ، وأنه وحده النافع الضار ، اللطيف الخبير ، العليم الحكيم . الذى يعطى لحكمة عالية ،

ويمنع لحكمة سامية ، كما قال سبحانه : ولو بسط الله الرزق لعباده لبغَوا فى الأرض ، ولكن ينزل بقدَر ما يشاء » .

الإيمان بالله : ان تنزهه سبحانه عن الشريك والزوجة والولد « قل هو الله أحد ، الله الصمد لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفُوًا أحد » وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا ، إنْ كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً » .

الإيمان بالله : أن تعلم علم اليقين أنه مطلع على دخيلة أمرك ، يعلم سرك وجهرك ، فإن أخفيت فى نفسك شيئاً علمه ، وإن أظهرته كتبه « يعلم ما تسرون وما تعلنون » « لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء » إذا علمت هذا وثبت فى نفسك يلزمك أن تخصه بالعبادة ، وتفرده بالدعاء « إياك نعبد وإياك نستعين » « فادعوا الله مخلصين له الدين » . ومن الإيمان به عز شأنه أن تعلم أنه حى قيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم وأنه سبحانه عظمة وكمال ، ونور وجلال : « لا إله إلا هو العزيز الحكيم » . ومن لوازم ذلك أن تخافه فى خلوتك كما تخافه فى جلوتك ، فلا تفعل المعصية ، ولا تفكر فيها ، خوفا من عقابه وأليم عذابه « ولمن خاف مقام ربه جنتان » .

الايمان بالله : أن توقن أنه موجود ، وأن جميع الخلائق مفتقرون إليه فى كل لحظة وآن ، وأن مَدده لو انقطع عن العالم طرفة عين لما بقى فى الوجود جماد ولا نبات ولا حيوان . فسبحان

الخالق الرازق المحي المميت . الملك القدوس ، الأول بلا بداية ، الآخر بلا نهاية ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن » .

والاسلام حين يطالبك بالايمان بوجود الله ، ووجوب اتصافه بكل كمال وجلال ، يرشدك إلى دليل ذلك ، ويلفت عقلك إلى ماأودع فى نفسك من الصنع العجيب ، والاتقان الغريب : من خلقك ؟ من سوّاك ، من جعل لك أذنين تسمع بهما ، ورجلين تمشى بهما وتجوب الأماكن والبقاع ، ويدين تبطش بهما ، وعينين تبصر بهما ، ولساناً تخاطب به ، وأنفا تميز به بين زكى الروائح وكريهها ، وعقلا تفكر به . بل من ركبك هذا التركيب الذى يحير الألباب ، ومن خلقك هذا الخلق العجاب ، الله خالق كل شىء » .

ولو تأملت وعلمت ما تصنعه آلة الهضم الدقيقة العجيبة فيما تتناوله من الطعام حتى يصبح غذاء مصلحا للأجسام : فمن إفرازات وعصارات بعضها من اللعاب ، وبعضها من الكبد ، وبعضها من الأمعاء — لو تأملت هذا وعلمت تفصيله ، لقلت معى : « صنع الله الذى أتقن كل شىء » . فهل ترى أن هذا الصنع العجيب المدهش وجد بدون صانع ؟ وهذا الخلق السوى حدث من غير خالق ؟ « فلينظر الانسان مم خُلق : خُلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصُّلب والترائب ، وفى الأرض آيات للموقنين . وفى أنفسكم أفلا تبصرون » .

وجملة القول : أن الايمان الحق يكسب صاحبه قوة وعزة وعظمة ومجداً ، ويدفع صاحبه إلى الاقدام والتطلع إلى المعالى

والترفع عن الدنايا ؛ يقدم لأمته الخير بيمينه ، ويدفع عنها الأذى بشماله ؛ يؤثر مرضاة الله على مرضاة النـــاس ، يبغض الذل والاستعباد ، لأنه تعلم من دينه أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين . إن كان غنياً بذل ماله فى سبيل دينه ووطنه ، وإن كان قوياً بذل دمه للدفاع عن الحمى ، وإن كان عالما نشر علمه على الناس ، وإن كان مزارعا أو تاجراً أو من أصحاب الفنون سخر مواهبه لرقى أمته ونفع بلاده والناس أجمعين . والايمان قوة تقوى العزائم ، وتنير سبيل المجد للعاملين ، ولو أن أهل القرى آمنوا واتقَوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ، ونكتفى بما تقدم فى مبحث الايمان بالله ، لنسمعك كلمات فيما يجب نحو ملائكته :

الملائكة

لا يعلم كنه حقيقتهم إلا من أنشأهم ، ولا يحصى عددهم إلا من خلقهم : وما يعلم جنود ربك إلا هو » . والملائكة موصوفون فى القرآن الكريم بأجل وصف : « لا يعصُون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » « يسبحون الليل والنهار لا يفتُرون » . وهم أقسام ، ولكل قسم وظيفته ، فمنهم الواسطة بين الله وبين رسله ، ومنهم الحفظة الكاتبون ، الذين يحصون أعمالنا من خير وشر ، كما قال الله فى كتابه « وإن عليكم لحافظين ، كراماً كاتبين ، يعلمون ما تفعلون » . ولسنا مكلفين بالبحث عن معرفة نوع كتابتهم وهل هى من جنس كتابتنا أو مغايرة ، وهل

الكتابة فى قرطاس ، أو منقوشة فى ألواح . . . ولكن الذى ينبغى ألا يغيب عنا ، وأن يكون فى علم كل امرىء منا ، أن أعمالنا محصاة علينا ، لا يضيع منها صغيرة ولا كبيرة : فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » ، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » . ومن الملائكة من توكل بقبض أرواح الخلائق باذن رب العالمين ، ومنهم من وظيفته حفظ الانسان ودفع الأذى عنه بدون شعور منه ، رحمة من ربنا ، ومنهم من وكل بأرحام الأمهات ؛ ففى البخارى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن الله عز وجل وكل بالرحم (رحم المرأة) ملكاً يقول : يا رب : نطفة ، يا رب : علقة ، يارب : مُضغة ، فإذا أراد أن يقضى خلقه قال : أذكر أم أنثى ، شقى أم سعيد ، فما الرزق والأجل ؟ فيكتَب فى بطن أمه » ، ولو أردت إحصاء وظائف الملائكة ما استطعت ، فما يعلم عددهم ، ووظيفة كل منهم إلا رب العالمين ، فيكفيك هذا القدر ، لتعلم :

الايمان بالكتب المقدسة

المقصود بالكتب المقدسة : ما أنزل الله تعالى على أنبيائه ورسله من الشرائع والأحكام ، والأوامر والنواهى التى كلفهم إبلاغها إلى عباده ، لتكون لهم عصمة من التردى فى الشقاء ، وليسعدوا إن عملوا بها فى الدنيا والآخرة ، كما قال الله سبحانه فى القرآن الكريم « فإما يأتينكم منى هُدى فمن اتبع هداى فلا يضل

ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ، قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها ، وكذلك اليوم تنسى » .

والكتب المقدسة التى أنزلها الله على رسله كثيرة يكفينا أن نعلم عنها : أن التوراة أنزلت على موسى ، والإنجيل على عيسى ، والزبور على داود ، والقرآن على محمد ، عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه .

أما التوراة والإنجيل والزبور فنؤمن بأنها كتب أنزلها الله على المذكورين من رسله ، وأن جميعها تدعو إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له وحده لا شريك له ، وأن هذه الكتب منسوخة بالقرآن الكريم . وسيمر بك بعض آيات من التوراة والانجيل تستطيع بعد قراءتها تكوين فكرة عنها ، كما سترى موازنة بين بعض تعاليم الإسلام وتعاليم غيره من الأديان . وسيكون هذا الفصل أمتع ما فى هذا الكتاب .

تقدم أن التوراة والإنجيل والزبور وغيرها مما أنزل الله على رسله يلزمنا الإيمان بها والاعتراف بأنها كتب مقدسة أنزلها الله هداية للناس ورحمة ، وأن إيماننا بها إنما هو إيمان بأصلها ، أما الموجود منها الآن فعقيدتنا أبناء الاسلام أنه محرف مبدل ، ولم نكلف البحث عن أصل هذه الكتب ، ولا معرفة ما اشتملت عليه .

أمّا كتاب الله القرآن الذى نزل به الروح الأمين على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فينبغي أن نتحلى بمعرفته إجمالا وتفصيلا ، فإنه الدستور الالهى الخالد ، والقانون السماوى الذى « لا يأتيه

الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد » .

هذا القرآن هو حبل الله المتين ، وصراطه المستقيم ، بل هو النور والضياء ، والعافية والشفاء ؛ من اعتصم به نجا ، ومن تمسك بغيره ضل ضلالا بعيداً .

بالقرآن أخرج الله الناس من الظلمات إلى النور ، فتحررت العقول ، ورقت الطباع ، وحدث أعظم انقلاب فى تاريخ البشر .

بالقرآن أحيا الله الأمة العربية ، ومكن لها فى الأرض ، وجعل أهلها أعزة ، سادة ، قادة ، نشروا النور والعرفان ، والعدل والحرية والمساواة ، فى مشارق الأرض ومغاربها .

القرآن الكريم اشتمل على تعاليم هى سبيل سعادة الأمم والأفراد والجماعات ؛ جمع من العلوم أرقاها ، ومن الحكم أغلاها بالعمل به ساد الأولون ، فجمعهم الله بعد تفرق ، وقواهم بعد ضعف ، وأعزهم بعد ذل ، وحررهم من استعباد الفرس والروم ، وملكهم أرضهم وديارهم ، وجعلهم أساتذة الدنيا فى العلوم والفنون . والبر والرحمة .

القرآن تلاوته ضياء ، وتدبر معناه شفاء ، وفى العمل به سعادة الدنيا والدين . وفى المستدرك والبيهقى من حديث ابن مسعود مرفوعاً إلى النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن هذا القرآن مأدبة الله فاقبلوا من مأدبته ما استطعتم . إن هذا القرآن حبل الله والنور

المبين ، والشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه ، لايزيغ فيستعتب (معناه لا يميل عن الحق فيطلب منه العتبى) ولا يعوج فيقوم، ولا يخلق عن كثرة الرد ، فاتلوه فإن الله تعالى يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات . . » الحديث

وإنى لأعجب من فهم بعض المسلمين لقيمة كتاب الله : القرآن فترى القرآن العظيم يتلى أمام الأضرحة ، وعلى أفاريز الطرقات ، وفى عربات الترام والسيارات ، وعلى قبور الموتى ، ولو كان ذلك للعظة والتذكير لكان حسناً ، ولكن يفعل ذلك للإستجداء وسؤال الناس ، وذلك امتهان لما عظم الله: لا ينبغى السكوت عليه.

فالقرآن العظيم لم ينزله الله للمذلة والمهانة ، ولا لتلاوته على الموتى ، بل قال الله تعالى فى شأنه « لينذر من كان حياً » فهو كتاب الخلود ، وروح الحياة ، وسر الوجود ، يرفع الله به أمماً تمسكت به، ويخفض أخرى حادت عن طريقه « يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور ، وهدى ورحمة للمؤمنين » .

ونتنقل بك إلى :

الايمان بالرسل

الرسل صلوات الله وسلامه عليهم هم خلاصة النوع الإنسانى ، فطرهم الله على حالة خاصة ، فهم أرجح الناس عقولا ، وأصفاهم قلوباً ، وأطيبهم نفوساً ، وأفصحهم لساناً ، وأصدقهم حديثاً، مبرءون

من العيوب والنقائص ، معصومون من ارتكاب المعاصى والذنوب ؛ لأن الله سبحانه وتعالى اختارهم واصطفاهم على العالمين ، وبرأهم على أن يكونوا هداة الأمم ، وقادة الخلق ، والأسوة الحسنة للعباد .

الإيمان بهم يستلزم اعتقاد صدقهم فيما يقولون ، وأنهم بلغوا ما أمرهم الله به ، وأنهم أمناء فطناء ، بذلوا مافى وسعهم وطاقتهم لنشر دين الله ، وصبروا على ماناالهم من أذى قومهم ، ولم تهن عزائمهم ، ولم تزدهم الشدائد وكثرة المصائب إلا ثباتاً وقوة ونشاطا فى الدعوة إلى الله ، شعارهم الذى لا يعرفون سواه « ربنا أفرغ علينا صبراً ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين » .

والرسل كثيرون لا يحصى عددهم إلا من أرسلهم كما قال سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم « ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ، ومنهم من لم نقصص عليك » . « ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ، ورسلا لم نقصصهم عليك » .

والإسلام لا يفرق بين رسول ورسول « لا نفرق بين أحد من رسله » . فنوح كإبراهيم ، وعيسى كموسى ، ويوسف كأيوب ، وصالح كشعيب ، وسيدنا محمد واحد منهم ، كلهم بلغ الناس ، وكلهم قام بما أمره به ربه خير قيام ، وكلهم جاهد ، وكلهم عبدالله ورسوله

بيد أنه لا يعزب عن البال أن رسولنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم يمتاز عن إخوانه الرسل بأمور تجعل المنصف المتأمل لا يرتاب فى أنه عليه الصلاة والسلام أفضلهم على الاطلاق وإليك البرهان :

(١) أن أمته أفضل الأمم بشهادة القرآن : « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » . وفضل الأمة مرتبط بفضل رسولها ، فرسولنا أفضل الرسل

(٢) قال الله تعالى فى كتابه « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً » فكل رسول يشهد يوم القيامة على أعمال أمته ويقرر أمام ربه أنه بلغهم ما أمر بتبليغه ، وسيدنا محمد يشهد على الرسل بأنهم قاموا بأمر ربهم ، ونصحوا أممهم ، وأدوا أمانة الله إلى عباده . ولا شك أن من يزكى الجميع يكون أفضلهم ، وأجلهم قدراً ، وأعظمهم مكانة عند ربه .

(٣) وأيضاً هو آخر الرسل ، وشريعته آخر الشرائع ، وأمته أكثر الأمم . ولو لم يكن فى كتاب الله من بيان أفضلية سيدنا محمد على الرسل سوى قول الله تعالى « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً » لاكتفينا بها حجة ودليلا على بيان فضل سيدنا محمد على سائر الرسل .

والايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، يستلزم الايمان بأن بعد هذه الحياة حياة أخرى ، وأن الحياة الأخرى هى الأبدية الدائمة ، وهى ياما نعيم أو عذاب أليم ، وأن من زرع فى الدنيا خيرا يجد يوم القيامة جنات النعيم . ومن اكتسب فيها ذنوبا وآثاماً وفسقا وعصياناً لقى فى الآخرة ناراً وجحيما وعذابا أليما .

إن لم يتداركه عفو الله . أو يقدم توبة نصوحا . ويوم القيامة لا ينفع والد ولده . ولا مولود والده . بل لا تجد هناك إلا ما قدمت يداك « يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزى والد عن ولده ، ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً ، إن وعد الله حق ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور » .

ولولا أنى ملتزم الإيجاز فى هذا السفر الصغير لأطلت كثيراً فى مبحث الرسل ، ولكنى أكتفى بما ذكرت ، لأقدم لاخوانى المسلمين قصة رسول كريم ، لتكون بمثابة مصباح مضىء يرشد المؤمنين إلى الثبات والصبر ، ومقابلة الشدائد والمحن بالحزم والأناة ، وتسليم الأمور لمن بيده ملكوت السموات والأرض — هذه القصة هى :

قصة أيوب عليه السلام

وإذا ذُكر سيدنا أيوبُ ذكر معه الصبر ، فكأنه والصبر توأمان ، وذلك لعظم ما نال أيوب من البلاء ، وما قابله به من الثبات والصبر ، والتسليم لمن بيده الأمر .

وقصة أيوب كلها عجب ، وقبل أن نقصصها عليك يجمل أن تعلم أن ما يرويه القصاص وجماعة المتسولين من أن أيوب كان يتناثر

الدود من جسمه الشريف ، اختلاق لا حقيقة له ، وافتراء على الرسل وجهل بما يجب لهم . فالأنبياء والرسل لا يصابون بأمراض تنفر الناس منهم ، أو تمس عقولهم . وخروج الدود من جسم أى كائن ، كاف لهجره وبُعد الناس عنه . ومن يزعم أن أيوب كان يتساقط لحم جسمه وهو مريض ، وأن الدود كان يتناثر من جسده ، فقد جهل مقام الأنبياء وما يجب فى حقهم .

وأيوب من نسل إسحاق بن إبراهيم عليه السلام ، منحه الله الهناءة والصفاء ، وبسط له فى الرزق ، وشرح صدره بزينة الحياة (الأولاد ، وغرس فى قلبه عطفاً على المساكين ، وحنانا للفقراء ، ومواساة البؤساء وإكرام الضيف ، وشرّفه رب العالمين حيث اصطفاه لقومه رسولا ، واختباره لهداية من شاء من عباده و « ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا » .

وكان أيوب من الشاكرين لله أنعمه ، وقليل من الناس الشكور ؛ فلم يشغله ماله وولده . وما هو فيه من عز الحياة ، وبهجة الوجود عن القيام بأمر ربه ، والدعوة إلى الله .

ولأمر ما . أراد الله أن يكون أيوب سلوى المبتلين ، وذكرى للمؤمنين ، وقدوة فى الصبر لمن نزلت بهم الشدائد ، وحلت بساحتهم الرزايا ؛ فامتحنه الله وابتلاه وأنزل به من المصائب ما تنوء به الجبال الراسيات ، فصبر صبر الكرام ، لم يشك لأحد من مخلوقات

الله ، ولم يتذمر ، بل لم يصبه ملل ولا ضجر مع توالى الشدائد وكثرة النوائب .

وأول ماحل بأيوب من الرزايا والمحن : فقدُ ما عنده من متاع الدنيا ، فلم يُبق الله له إبلا ولا غنما ولا زرعا ، وأصبح بعد السعة فى ضيق ، وبعد الغنى فى فقر ؛ فقال قومه : لو كان أيوب صادقا فى دعوته وأنه رسول رب العالمين لما نزلت بساحته النوائب !. فقام أيوب يصلى فوسوس إليه الشيطان : أين المال ؟ أين الخدم ؟ أين الغنم ؟ أين النعيم . . . ؟ فأعرض أيوب عن وسوسة الشيطان ، وحمد الرحمن ، وعلم أن الخير فيما اختاره الله له ، ورد كيد الشيطان فى نحره ، ولم يمكنه من نفسه ، شأن الأنبياء وعباد الله الذين عصمهم من وسوسته وإضلاله . وتوالت بعد ذلك البلايا والمصائب على أيوب ، فقضى الموت على أولاده فأفناهم عن آخرهم فى وقت واحد .

يروى بعض المفسرين أن أولاد أيوب كانوا فى بيت فخر السقف عليهم فماتوا جميعاً ، فدمعت عين أيوب على أولاده وفلذات كبده حناناً ورقة ، وعطفاً ورحمة ، و « إنما يرحم الله من عباده الرحماء » ثم رجع أيوب إلى الله ، وفوض أمره لمولاه ، واستغفره وحمده .

لم تقف مصائبه عند هذا الحد ، بل ابتلى بمرض جسمه ، مرضا غير منفر ، فلم ينزل من جسمه قيح ولا صديد ولا دود كما يقول المفترون . وجملة ما يقال : إن الله تعالى أصاب أيوب بمرض شديد أقعده عن العمل ، وحبسه عن الكسب ، وكان لأيوب امرأة صالحة طائعة فاتنة ، عفيفة صابرة ، لم تهن البلايا قوتها ، ولم تزعزع المصائب ثقتها فى ربها وخالقها ، فكانت تقوم بخدمة أيوب بصبر وحنان ، وعطف ممزوج بإيمان . قالت يوماً يا أيوب : ألا تدعو الله لنا لعله يزيل كربنا ! فقال لها : كم كانت مدة الرخاء ؟ قالت : كذا سنة ، وذكرت مدة طويلة . قال لها : وكم مدة البلاء ؟ قالت كذا سنة ، وذكرت مدة قصيرة . فقال لها : لم تبلغ مدة بلائى مدة رخائى . فتذكرت المرأة ما كانت عليه من سعة العيش وصفاء الحال ، وكثرة الأولاد والنعيم ، ووسوس لها الشيطان : أين الأولاد ؟ أين الأموال ؟ أين الصحة . . ؟ فبكت . فعلم أيوب أن الشيطان قد ألقى فى روعها ووسوس لها ، فطردها ، وأقسم لئن عافاه الله وشفاه ليضربنها مائة جلدة ! فخرجت من لدنه وهى بين عاملين قويين : إطاعة أمره بالبعد عنه ، وحاجته إلى من يقوم بخدمته . ولما بلغ الحال بأيوب ما بلغ ، واشتد الكرب عليه ، التجأ إلى ربه ، وتضرع إلى الله أن يفرج كربه ، ويرفع عنه ما نزل به من البلايا ، وخر ساجداً ، ودعا بدعوات فتح الله بها عليه ،

فقال « رب إنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين ! » فأجابه مولاه : قد أجبت دعاك ، وأزلت بلواك « اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب » . ففعل ما أمره الله به ، فمنحه العافية ، ورجع أحسن مما كان ، ورد عليه ماله وإبله ، وغنمه وأولاده بأعيانهم ، معجزةً له ، ومثلهم معهم ، رحمة من الله وفضلا ، جزاء صبره وضراعته إلى ربه . والله على كل شيء قدير . عن ابن عباس ، وابن مسعود رضى الله عنهما : أن الله رد لأيوب عليه السلام أولاده بأعيانهم ومثلهم معهم .

ولا تنس أن امرأة أيوب لما منعها خدمته ، والقيام بتمريضه وقضاء حاجاته ، أصابها من الهم والكدر ما أصابها ، وقالت فى نفسها : إلى من أترك أيوب ؟ لأعودن إليه . فعادت فلم تجده فى مكانه ، فبكت ونادت : زوجى ! ثم نظرت فإذا رجل شبيه بأيوب وقت صحته ، فقالت : إن أيوب كان أشبه الناس بك . فأجابها : أنا أيوب ، خالفتُ الشيطان ، وأطعت الرحمن ، فمنحنى العافية ، ورد إلى سعادتى . وقد تقدم أن أيوب أقسم لئن عافاه الله ليضربن زوجته مائة جلدة . فرحمة بها وإنعاماً من الله عليها أمر أيوب أن يأخذ شمراخا ويضرب به زوجته فيبر فى يمينه ، وذلك قوله تعالى : « وخذ بيدك ضِغْثاً فاضرب به ولا تحنَثْ ، إنا وجدناه صابرا ؛ نعم العبد ، إنه أواب » .

هذه خلاصة قصة سيدنا أيوب ، وهى كما ترى مجمع عبر لمن يعتبر ؛ بل هى سلوى لكل مبتلى ، وذكرى لكل صابر ، والله تعالى يقول « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » .

فقل لمن نزلت به شدة : اضرع إلى مولاك وبثه شكواك ، وكن مثل يعقوب حين اشتد حنينه إلى يوسف ، قال : « إنما أشكو بَثّى وحُزنى إلى الله » . وكن مثل أيوب لما تزايد عليه البلاء نادى ربه « رب إنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين » . والحازم الكامل من يقابل حوادث الأيام ، وصدمات الدهر بالثبات والصبر : واصبر على ما أصابك ، إن ذلك من عزم الأمور » . ولن يفوز قاصد خير ومؤمل مجد إلا إذا كان له من الصبر زاد . والإيمان نصفان : نصف صبر ، ونصف شكر .

واعلم أخى أن الضيق تعقبه السعة ، وأن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا ، والصبر مع التقوى حصن من الأعداء كما حكى القرآن الكريم فى قوله سبحانه « وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً ، إن الله بما يعملون محيط » . وقال : « إن الله مع الصابرين » أى بالمعونة والرعاية ، والعناية والتوفيق . جعلنا الله مع الصابرين ، ورزقنا صحبة الصالحين .

ومما يتعلق بمباحث الإيمان ، الإيمانُ بالقدر : خيره وشره ، حلوه ومره ، وقد جعل الناس للقدر قضية معقدة ، كما جعلوا

للقضاء مثلها . ولست أريد بحث هذا الموضوع فى هذا الموجز ، ومن أراد فهمه فعليه بكتاب : شفاء العليل فى القضاء والقدر والتعليل ، لابن قيم الجوزية ، ولكنى أسوق كلمة فى الموضوع تدخل فى باب الوعظ ، بعنوان :

الرضا بالقضاء

ينبغى أن يُعلم أن الرضا عن الله فى كل ما يفعله بالعبد ليس معناه ترك العبد للأسباب الموصلة إلى ما يريده ؛ بل الأخذ فى الأسباب من جملة الرضا عن الله . فإنه سبحانه هو الذى أمر بالعمل ، وبمزاولة الأسبات ، مع الجد والنشاط ، وأخذ الحيطة والحذر ؛ فإن وصل المرء إلى مطلوبه فذلك من توفيق الله وإعانته وإن لم يصل — بعد أن بذل غاية جهده — فليسلم بالقضاء ، وليعلم أن الخيرة فيما اختاره له من هو أعلم بمصالحه من نفسه التى بين جنبيه ، وهو الله العليم الخبير .

وقد يظن العبد الخير فى شىء وهو شر محض فى الواقع ونفس الأمر ؛ كما يظن الشر فى شىء وفيه كل الخير ، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون » . ولذا كان المؤمن القوى ، وهو العامل بأوامر دينه ، الواثق من أن ربه لا يفعل به إلا ما فيه مصلحته —

خيراً وأحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف ، الذى يجزع من الحوادث تنزل بساحته ، فتهتز أركان عقيدته . فترى المؤمن القوى إذا نزل به مُهم أخذ فى مدافعته مستعينا بحول الله وقوته ، فإن عجز عن دفعه ولم يستطع له ردا ، لا يجلس جلسة الحزين الذى يقول : لو أنى فعلت كذا لنجوت ، ولو فعلت كذا لم يحصل كذا ! ولكنه ينسي ما فات ، ويرجع إلى إيمانه وثقته بالله ، فيقول : قدر الله وما شاء فعل .

وقد جرت عادة الله فى خلقه أن جعل منهم سعداء وأشقياء . ترى ذلك فى الجمادات والنباتات ، والحيوانات والإنسان :

فهذا حجر يضرب بالفأس ليكسَر ، وآخر يتمنى الملوك أن يزينوا به أيديهم . وهذا نبات تشتاق النفس لشم عبيقه ، وآخر يتحاشى المرء ريحه . وهذا حصان ينفق على خدمته مئات الدنانير ويوضع عليه من باهى الحلل ما يكون زينة للناظرين ، ونرى حصانا آخر يجر عربة محملة بأثقال ينوء بحملها ، فوق ما يناله من أذى سائقه . بل إن فى الكلاب ما يأكل مع العظماء ، ويتحلى بسلاسل الذهب ، ويقبل فى فيه ، ومنها ما يضرب بالحجارة ويهلك جوعا . . .

وإذا انتقلت إلى من كرمه الله على عموم مخلوقاته وهو الإنسان رأيت الغنى والفقير ، والصحيح والسقيم ، والمبتلى والمعافى ، والعقيم

ومن له أولاد ، ومن ينعم بوالديه ومن فقد أحدهما أو كليهما ؛ ورأيت الذكى الفطن وقد ضرب الفقر قبة عليه ، والغبى الجاهل والغِنَى يسير بين يديه : فعلٌ تاهت العقول فيه ، وتحيرت منه الألباب .

ولو تأمل المرء فى هذا كله ، لعلم أن لله فى ذلك حكما وشئونا ، مرجعها نظام الكون ، وحسن التدبير للعباد .

فلو خلقوا جميعا أغنياء لما وجد التعاون ، وقد شاء الله أن يجعل بعضهم لبعض سخريا ؛ ليقوم الفقير بمعاونة الغنى فى تجارته وزراعته ، ويقوم الغنى للفقير بما يسد خلته ويدفع عنه ألم الفاقة . ولو وجد الناس جميعاً أصحاء لما عرفوا مقدار نعمة الصحة . ومن الحكم المأثورة فى هذا « الصحة تاج على رءوس الأصحاء لا يعرفه إلا المرضى » وقل مثـــل ذلك فى كل الفروق الموجودة بين بنى الإنسان .

ولو كشف الغطاء عن المرء ، لعلم أن ما هو فيه خير له مما يتطلع إليه ويتمنى حصوله لنفسه ؛ إذ الذى رعاه وهو فى بطن أمه ، ورباه طفلا ، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة ، وهو أعلم بما فيه خيره ومصلحته — هو الذى وضعه هذا الوضع ؛ فيجب التسليم له ، والرضا عنه فى كل ما يفعله به . والرضا فوق الصبر ؛

فقد تكره الشيء ينزل بك ولكنك تعتصم بالصبر فتنال أجر الصابرين . لكن الرضا أن ترى كل ما يفعله بك جميلا ، وأن من أحبه مولاه ابتلاه ليظهر للناس مكنون سره ، وهل هو من المؤمنين الراضين عن الله ، أو من الذين يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم . وليثبت ذلك فى نفسك ، ويقر فى قلبك ، استمع معى لقول النبى الكريم صلى الله عليه وسلم « إذا أحب الله عبداً ابتلاه ، فإن صبر اجتباه ، وإن رضى اصطفاه » .

يزيدك بياناً أن الشكوى للمخلوقين من الخالق سبحانه وإظهار السخط وعدم الرضا عن فعله بالعبد ، يخرج العبد من حظيرة المؤمنين الصادقين . ترى ذلك واضحاً فى قول الله تعالى فى الحديث القدسى : إنى أنا الله لا إله إلا أنا ، فمن لم يصبر على بلائى ، ولم يشكر نعمائى ، ولم يرض بقضائى ، فليطلب رباً سواى » !

والرضا بالقضاء هو ثمره الإيمان ونتيجته ، إذ من وقر فى نفسه أن له رباً كريماً عليما بما ينفعه وما يضره ، وأنه أرحم به من الوالدة بولدها — أيقن أن ما هو فيه خير له مما يتشوق إليه ، وأن من الحمق والجهالة أن يظهر السخط ويشكو الخالق للمخلوقين بل عليه أن يلجأ إلى ربه فى كل ما ينزل به ، كما فعل يعقوب عليه السلام حين فقد ولديه ، فقال كما يحدثنا القرآن الكريم « إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله » .

ويعجبنى فى هذا المقام أن أذكر لك ما قرأته فى بعض الكتب من أن الله سبحانه قال : يايعقوب أتدرى لم فرقتُ بينك وبين ولدك يوسف ؟ قال : لايارب . فقال : لأنك قلت لإخوتك : « إنى أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون » لم خفت عليه الذئب ولم ترجنى له ؟ ولم خفت من غفلة إخوته ولم تنظر إلى حفظى ورعايتى له ؟ ! أتدرى يايعقوب لم رددت عليك ولدك ؟ قال : لا يارب . قال : لأنك قلت « عسى الله أن يأتينى بهم جميعاً » .

فانظر أيها المؤمن بنور قلبك إلى هذه المحاورة الطريفة ، ترى أن ربك الغنى يحب أن تلجأ إليه فى كل شأنك ، وتكل إليه جميع أمرك . ولله در من أنشد عن الله تعالى :

سلم الأمر تجدنا نحن أولى بك منك

قد أسلفت لك أيها القارى الكريم أن الرضا عن الله فى كل ما ينزل بك هو ثمرة الإيمان ، بل هو الإيمان على التحقيق . وأحب أن تسمع السؤال الآتى وجوابه ، لتزداد إيماناً وإشراقاً ، ونوراً ينشرح به صدرك ، وتستريح به نفسك ، ويطمئن له قلبك :

سأل النبى صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه فقال « ماأنتم ؟ فقالوا : مؤمنون . فقال : وما علامة إيمانكم ؟ قالوا نصبر عند البلاء ، ونشكر عند الرخاء ، ونرضى بمواقع القضاء . فقال صلى الله عليه وسلم : مؤمنون ورب الكعبة ! وفى رواية أخرى

قال : حكماء علماء ، كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء » .

ويأخذ بمجامع القلوب ما يروى فى الحديث القدسى « إننى أنا الله لاإله إلا أنا ، فمن لم يصبر على بلائى ، ولم يشكر نعمائى ، ولم يصبر على قضائى ، فليطلب رباً سواى » .

قد يقع أمام نظرك أمر أنت تنكره ، ولو كشف عنك الحجاب لرأيت جميل فعل الله فيما أنكرت ، فقد جرى الإنسان على أن يقيس حسن الأشياء وقبحها على عقله المحدود وفكره المكدود . وأين عقلك ممن لايخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، وسع كل شىء علما ، وهو السميع البصير

ولتدرك ذلك وتفهمه ، أقص عليك من كتاب الأربعين للإمام الغزالى رحمه الله القصة الآتية ، وهى فيما أحسب تنير أمامك طريق الرضا والتسليم لله رب العالمين :

« روى أن نبياً كان يتعبد فى جبل . وكان بالقرب منه عين ماء ، فاجتاز بها فارس وشرب ونسى عندها صرة فيها ألف دينار ؛ وجاء آخر فأخذ الصرة . ثم جاء رجل فقير على ظهره حزمة حطب فشرب واستلقى ليستريح ؛ فرجع الفارس فى طلب الصرة فلم يجدها فأخذ الفقيرَ فطالبه وعذبه ، فلم يجدها عنده فقتله . فقال ذلك النبى : إلهى : ماهذا ؟ أخذ الصرة ظالم آخر ، وسلطت هذا الظالم على هذا الفقير حتى قتله ! . فأوحى الله تعالى إليه : اشتغل بعبادتك

فليس معرفة أسرار الملك من شأنك ! إن هذا الفقير كان قد قتل أبا الفارس ، فمكنته من القصاص ، وإن أبا الفارس كان قد أخذ ألف دينار من مال آخذ الصرة فرددته إليه من تركته . إننى أنا الله لا إله إلا أنا ، فمن لم يصبر على بلائى ، ويشكر نعمائى ، ويرض بقضائى فليطلب ربا سواى .

حب الخير سبيل السعادة

قبل أن أسوق لك الباب الثانى من أبواب الكتاب أحببت أن أمتعك بحديث طربت له نفسى ، وانشرح له صدرى ، وهو يرشدك إلى اهتمام أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بأمور الآخرة وبالطرق الموصلة إلى السعادة .

فعن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أتاه آت ، فلما حاذانا ورأى جماعتنا أناخ راحلته ، ثم مشى إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله : أوضعت راحلتى من مسيرة تسع ، فسيّرتها إليك ستا ، وأسهرت ليلى ، وأظمأت نهارى ، وأنصبت راحلتى ، لأسألك عن اثنتين أسهرتانى . فقال له النبى صلى الله علية وسلم : من أنت ؟ قال : زيد الخيل . قال : بل أنت زيد الخير ، سل ، فرب معضلة قد سئلت عنها . قال : جئت لأسألك عن علامة الله

فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: بخ بخ ! كيف أصبحت يا زيد ؟ قال : أصبحت أحب الخير وأهله ، وأحب أن يُعمل به ، وإذا فاتنى حننت إليه ، وإذا عملت عملا قلّ أو كثر أيقنت بثوابه ، قال : هي هي بعينها يازيد ! ولو أرادك الله للأخرى هيأك لها ، ثم لا يبالى فى أى واد هلكت ! . فقال زيد : حسبي حسبي ! ! ثم ارتحل » .

ومعنى ذلك أن عمل الخير وحبه ، والاشتياق إليه عند عدم القدرة على فعله ، وكون المرء يحب أن يعمل الناس الخير ، والتيقن بحصول ثواب العمل قل أو كثر — كل ذلك من علامات حب الله للعبد وإرادته له الخير ؛ ولو أراد به غير ذلك لصرفه عن الخير إلى الشر ، ولا يبالى به فى أى واد هلك .

وشبيه بهذه قصة حارثة ؛ وهى تبين أن المؤمن الحق يصل بإيمانه إلى أعلى الدرجات فى الدنيا والآخرة ، بل يُظهر أن المؤمن الذى شع نور الإيمان فى قلبه تكشف له الحجب ، فيرى عرش ربه ، والنعيم الذى أعده الله للمؤمنين ، والشقاء الذى هيأه للمجرمين : وهذه القصة تبين :

حقيقة الايمان

جاء فى السيرة المحمدية للسيد أحمد زينى دحلان فى باب غزوة

بدر أن النبي صلى الله عليه وسلم قل لحارثة يوما وقد استقبله : كيف أصبحت يا حارثة ؟ قال : أصبحت مؤمنا بالله حقا . قال : انظر ما تقول ، فإن لكل قول حقيقة . قال يا رسول الله عزلت نفسى عن الدنيا . وفى رواية : عزفت نفسى عن الدنيا ، فأسهرت ليلى ، وأظمأت نهارى ، فكأنى بعرش ربى بارزاً أمامى ، وكأنى أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها ، وكأنى أنظر إلى أهل النار يتعاوَون فيها . قال : أبصرت فالزم ؛ عبد بذر الله الإيمان فى قلبك — أى أنت عبد الخ — فقال : ادع الله لى بالشهادة ، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك . وقد كان رضى الله عنه من شهداء بدر ؛ وقد جاءت أمه الربيع بنت النضر عمة أنس بن مالك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن قدم من بدر ، فقالت : يا رسول الله حدثنى عن حارثة ؛ فإن يكن فى الجنة لم أبك عليه ، وإن يكن فى النار بكيت ما عشت فى الدنيا . فقال : يا أم حارثة : إنها ليست بجنة ولكنها جنان ، وحارثة فى الفردوس الأعلى !! فرجعت وهى تضحك وتقول : بخ بخ لك ياحارثة !! وفى بعض الروايات أنه بعد أن بين حقيقة إيمانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سره أن ينظر إلى رجل نور الله الإيمان فى قلبه فلينظر إلى هذا ».

نتبين من هذا أن حارثة عرف حقيقة الإيمان وعمل بمقتضاه ،

فكشف الله عنه الحجب، فرأى ما لا نرى، وعلم ما لم نعلم، وأخبر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أنه رجل نور الله الإيمان فى قلبه، وأنه فى الفردوس الأعلى. نسأل الله أن ينور قلوبنا بالايمان.

وقد أطلنا فى مبحث الإيمان لأهميته، ولأنه الأساس الذى يبنى عليه صروح سعادة الأمم. فالإيمان يجعل من الجبان شجاعا، ومن الضعيف قويا، ومن الذليل عزيزاً، ومن التفرق اتحاداً، ومن الفوضى نظاما، ومن الشقاء سعادة، ومن الهمجية حضارة، ومن الجهل علما.

وبالإيمان يرقى الذوق، ويرهف الإحساس، وينمو الشعور بوجوب التكافل الاجتماعى، فمصلحة الأمة فى مصلحة الأفراد، ومصلحة الأفراد فى مصلحة الأمة. فلا تعجب من أن حفنة من المؤمنين الأولين فتحوا الدنيا شرقا وغربا، ومزقوا ملك كسرى، وقهروا الرومان، لأنهم وفوا ما عاهدوا الله عليه، فوفاهم ما كتبه على نفسه من وجوب نصرتهم؛ وذلك قوله سبحانه «وكان حقاً علينا نصر المؤمنين».

ونكتفى بهذا لنذكر شيئا عن:

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

قال الله تعالى: «كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله». وقال سبحانه:

« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » .

عماد الدين الأول هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؛ به انتشر الاسلام فى الخافقين ، وأضاء نوره المشارق والمغارب ؛ وهو وظيفة الرسل الكرام ، ومن سلك طريقهم من العلماء ورثة الأنبياء الذين عملوا بما علموا ، وأخلصوا وجوههم لله . ولولا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ما انبثق فى الوجود نور ، ولا انتشرت فى العالم فضيلة ، ولا ظهر دين من الأديان ، ولا عرف ربه إنسان .

لذا أوجب الله سبحانه تخصص طائفة من المسلمين للتفقه فى الدين ، تقوم بواجب الدعوة إلى الله ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؛ قال سبحانه : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون » .

والمسلمون بالنسبة إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، قسمان : علماء درسوا علوم الدين ، وغير علماء لم يدرسوا كالقسم الأول ولكنهم يعلمون الأمور العامة فى الدين ، ويعرفون حكم الله فيها ؛ والاثنان يشتركان فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فيما ظهر من الأحكام ، كالصلاة والصوم والزنا وشرب الخمر . . . فكل مسلم يعلم أن الصلاة فرض ، وأنها الركن الأعظم فى الدين

بعد الشهادتين ، كما يعلم أن الزنا وشرب الخمر حرام ؛ ويختص العلماء بما يعلمونه من تفصيل الأحكام ، وإيضاح الحلال والحرام مما يجهله غيرهم . ففى عنقهم تبيان ذلك للناس بقدر طاقتهم وجهدهم ، وإلا كانوا ممن حق فيهم وعيد الله فى قوله تعالى «إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ، إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم » .

وقد لعن الله الذين كفروا من بنى إسرائيل على ألسنة الرسل لإهمالهم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فقال سبحانه : « لُعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ؛ ذلك بما عصَوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ؛ لبئس ما كانوا يفعلون » .

وعن ابن سعيد الخُدرى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وهذا أضعف الايمان » رواه مسلم .

ومعنى الإنكار بالقلب كراهة المعاصى ، وبغض العاصى ؛ ومن أحب معصية أو صادق عاصياً فهو من الآثمين ، ومن لم يستطع إزالة المنكر فليزل عنه . ولا يخفى أن المصادقة غير المخالطة للأمر

والتذكير ، فإن مجالسة العصاة لإرشادهم واجبة ، أما مجالستهم للركون إليهم ، وللموافقة على مشربهم ، فنهى عنها ؛ « ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار » . وعن حذيفة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم » رواه الترمذى .

وجاء فى صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مامن نبي بعثه الله فى أمة قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ، ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ، ويفعلون مالا يؤمرون ؛ فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ؛ ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » .

إن ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ومعاشرة العصاة فيه الهلاك والدمار ، واضطراب الأحوال ، واختلاف القلوب ؛ ففى المسند والسنن من حديث عمرو بن مرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن من كان قبلكم كان إذا عمل العامل فيهم بالخطيئة جاءه الناهى تعذيراً فقال : ياهذا اتق الله ؛ فإذا كان من الغد جالسه وواكله وشاربه كأنه لم يره على خطيئة بالأمس : فلما رأى الله عز وجل ذلك منهم ضرب بقلوب بعضهم على بعض ثم

لعنهم على لسان نبيهم داود وعيسى بن مريم ؛ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . والذى نفس محمد بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد السفيه ، ولتأطرنه على الحق أطراً ، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم يلعنكم كما لعنهم ،

وذكر ابن أبى الدنيا عن ابراهيم بن عمرو الصنعانى قال :

« أوحى الله إلى يوشع بن نون : إنى مهلك من قومك أربعين ألفاً من خيارهم ، وستين ألفاً من شرارهم ، قال : يارب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار ؟ قال : إنهم لم يغضبوا لغضبى ، وكانوا يواكلونهم ويشاربونهم » .

وذكر ابن أبى الدنيا عن أنس بن مالك أنه دخل على عائشة هو ورجل آخر ، فقال لها الرجل : ياأم المؤمنين حدثينا عن الزلزلة؟ فقالت : إذا استباحوا الزنا ، وشربوا الخمور ، وضربوا بالمعازف غار الله عز وجل فى سمائه فقال للأرض : تزلزلى بهم ، فإن تابوا ونزعوا وإلا أهدمها عليهم ! . قال : ياأم المؤمنين أعذاباً لهم ؟ قالت : بل موعظة ورحمة للمؤمنين ، ونكالا وعذاباً وسخطا على الكافرين» .

إن الله سبحانه وتعالى يعاقب الأمم إذا أغضبته بفعل المعاصى وترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فيسلط عليها من لا يرحمها . فعن مالك ابن دينار قال : قرأت فى الحكمة : يقول الله

عزّ وجل « أنا الله مالك الملوك ، قلوب الملوك بيدى ، فمن أطاعنى جعلتهم عليهم رحمة ، ومن عصانى جعلتهم عليهم نقمة ، فلا تشغلوا أنفسكم بسبّ الملوك ، ولكن توبوا إلىّ أعطفهم عليكم » .

وذكر ابن أبى الدنيا من حديث ابن عمر يرفعه « والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى يبعث الله أمراء كذبة ، ووزراء فجرة ، وأعواناً خونة ، وعرفاء[1] ظلمة ، وقراء فسقة ، سيماهم سيما الرهبان وقلوبهم أنتن من الجيف ، أهواؤهم مختلفة ، فيتيح الله لهم فتنة غبراء مظلمة فيتهوكون فيها . والذى نفس محمد بيده لينقض الإسلام عروة عروة ، حتى لا يقال : الله الله ! . لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيسومونكم سوء العذاب ، ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم ! . لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليبعثن الله عليكم من لا يرحم صغيركم ولا يوقر كبيركم » .

وفى المسند وغيره من حديث عروة عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يأيها الناس اتقوا ربكم ، إن الله عزوجل يقول لكم مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعونى فلا أجيبكم ، وتستنصرونى فلا أنصركم ، وتسألونى فلا أعطيكم »

---

(١) العرفاء : جمع عريف : القيم بأمور القبيلة أو الجماعة من الناس يتعرف منه الأمير أحوالهم .

وقال العمرى الزاهد : « من ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من مخافة المخلوقين نزعت منه الطاعة ، ولو أمر ولده أو بعض مواليه لاستخف بحقه » .

فليعلم هذا من نصب نفسه واعظاً ، وليقدر رجل الدين مسئوليته الخطيرة ، فيحاول إصلاح حال نفسه ، وتهذيب روحه ، وتصفية سريرته ، فيعمل بما يدعو إليه فى خاصة نفسه ، ويترك ما ينهى عنه حتى يكون قدوة يقتدى بفعله وتركه ؛ فإذا كمل نفسه بالفضائل ، وطهرها بالترفع عن الدنايا ، فليأمر بالمعروف وينه عن المنكر مادام يعلم بالدليل والبرهان أن هذا معروف وهذا منكر وليجعل اللين شعاره . والحلم رائده ، والاخلاص حليته ، راجياً أن يكون ممن يقول الله فيهم : « ومَن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين » ، واضعاً نُصب عينيه هذا الارشاد الحكيم « أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » ، متأملا قول الله تعالى لموسى وهارون حين بعثهما إلى فرعون « فقولا له قولا ليناً لعله يتذكر أو يخشى » .

ومن نصب نفسه داعياً إلى الله فليوطن نفسه على احتمال صنوف الأذى والمكاره ، لا يخاف فى الله لومة لائم يستوى لديه الكبير والصغير ، والعظيم والحقير ، فالكل فى شرع الله سواء ؛ وليجعل الرسل الكرام له قدوة فى الصبر والثبات ، ولين الجانب ،

والعاقبة للصابرين ، ولا يتسرب اليأس إلى قلبـــه ، وليعلم أن من يدعوه إلى الهدى والرشاد وإن كان عاصياً فإن أصل نور الإيمان ثابت ومغروس فى قلبه ، فلعل كلمة طيبة لينة أو عظة مؤثرة ترجعه إلى السداد ، وتنير له سبيل الفلاح والاستقامة ، فيرجع عن غيه ، ويثوب إلى رشده ، ويؤوب إلى ربه ، فيكون لك ثواب « لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك من الدنيا وما فيها » ، ولذا يجب على الداعى إلى الله دائماً أن يعمل على :

إرضاء الخالق وإن غضب المخلوق

فعن رجل من أهل المدينة قال : كتب معاوية إلى عائشة أن اكتبي إلى كتاباً توصينى فيه ولا تكثرى علىّ ، فكتبت عائشة إلى معاوية « سلام عليك . أما بعد فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مئونة الناس ، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس » . والسلام عليك » .

والخلق الفاضل يشق لصاحبه طريق السعادة فى صخور الحياة المتعبة ، ويمهد له سبيل العزة والكرامة . وما الحياة الصحيحة إلا عزة وكرامة ، فإن فقدهما الشخص ضل سعيه فى الحياة الدنيا ، وكان فى الآخرة من الأخسرين .

والعزة الحقة إنما تتكون فى النفس وتمتزج بالروح والجسد ، بامتثال أوامر العزيز الحميد ، الذى بيده الملك والسلطان ، والغنى والجاه ، القادر على النفع والضر ، والإعطاء والحرمان « قل اللهم مالك الملك ، تؤتى الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء وتذل من تشاء ، بيدك الخير ، إنك على كل شىء قدير » . هذا الاله العظيم الذى أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة أوجب علينا طاعته ، والسعى فى عمل مايرضيه، والبعد عمايسخطه ويغضبه ، ولكن فريقاً من الناس سلكوا مع أوامره ونواهيه مسلك عبيد السوء ، يأكلون خيره ويطيعون غيره ، يرضون العبد ويغضبون الرب « والله ورسوله أحق أن يُرضوه إن كانوا مؤمنين » .

وإن ما تشاهده الأمة الإسلامية فى هذه الأزمان من توالى المحن والرزايا ، وحكم المسلمين بمن لايدين بدينهم ، ولا يؤمن بكتابهم ، ولا يصدق بنبيهم ، مرجعه — لو تدبرنا — التقرب إلى الخلق بفعل ما يشتهون ويهوون ، ولو كان فى ذلك ضياع الدين ومخالفة رب العالمين .

روى الحسن البصرى رحمه الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لاتزال هذه الأمة بخير تحت يد الله وفى كنفه ، ما لم يمال قراؤها أمراءها ، ولم يزك صلحاؤها فجارها ، ولم يمار أخيارها أشرارها . فإذا فعلوا ذلك رفع الله عنهم يده ، ثم سلط عليهم

جبابرتهم فساوموهم سوء العذاب ، وضربهم بالفاقة والفقر ، وملأ قلوبهم رعباً ، . ولقد فعل المسلمون ذلك ، فنزل بهم من العذاب ما لم يكونوا يحتسبون .

إن كنت فى شك من ذلك فاستقص معى أحوال الناس، فلن تجد مرءوسا يتقرب إلى رئيسه إلا بالسعايه والوقيعة فى إخوانه . كذا ترى مجالس الأغنياء ومن يسمونهم عظماء يذبح فيها الدين والفضيله على مسمع ومرأى من الجالسين ، فلا تكون إلا موافقة واستحسان . وقلّ أن تجد من يغضب لله وينكر عليهم آثامهم ويذكرهم عقاب يوم يجعل الولدان شيبا ، يوم تجد كل نفس ما عملت من خير مُحضراً ، وماعملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ، ويحذركم الله نفسه ، والله رءوف بالعباد ، . بل ترى من الجالسين من يهتك ستر إخوانه تفكهة لمن يرجو أن ينال على أيديهم شيئاً من حطام الدنيا ، وتلك صفة من غضب الله عليه ولعنه وأعدّ له عذابا عظيما .

لا تلتمس من مساوى الناس ما ستروا
فيهتك الله سترا عن مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا
ولا تعب أحداً منهم بما فيكا

إن التودد إلى الناس حث عليه الاسلام ، ورغب فيه نبينا

صلوات الله وسلامه عليه ، وجعله نصف العلم . ولكن يجب ألا يعزب عنا أن التودد المطلوب طريقه العمل على طاعة الله ، والتمسك بأهداب الفضيلة ، وإكرام النفس بالبعد عن الخوض فى أعراض عباد الله والموافقة على فعل ما يغضب القوى المتين ، ويرضى المخلوق الضعيف الذى لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضراً ، من ذا الذى يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة ؟ .

وإنك لتجد الرجل صاحب الدين والخلق فى زماننا إذا جلس مع كبير أو عظيم ، يخشى أن يقوم من مقامه مفقود الشرف مسلوب الدين . فقد جرت العادة أن يتودد الناس إلى الكبراء بما يرضيهم ويسخط أحكم الحاكمين .

والمشاهدات فى هذا كثيرة : فهذا منادى الصلاة يقول : هلموا إلى تأدية ما فرضه عليكم ربكم ، فنفضل مجالسة هؤلاء ، ولا نسعى لاجابة داعى الله . وهذه أندية الخمر والميسر والموبقات نجد فى الجلوس فيها مع الجالسين ، وتنتهك أمام أعيننا حرمة الاسلام ، فلا ننكر هذا لا باليد ولا باللسان ولا بالقلب ، وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل .

ألست ترى أكثر من ذلك أن الظالم لا يجد من يقول له :

ياظالم . والسكوت على الظلم ظلم . وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون .

ولقد ضرب لنا أسلافنا الأماجد أحسن الأمثال بمواقفهم العظيمة المشرفة ، حيث كانوا لا يخافون إلا الله ، ولا يرجون سواه ، يرضونه ويتقربون إليه بطاعته ، والعمل بكتابه . واتباع سنة نبيه ؛ الكبير عندهم من أطاع الله ، لا تأخذهم فى الحق لومة لائم ، دينهم النصيحة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ولو أصابهم فى سبيل ذلك ما أصابهم ، واضعين نصب أعينهم ذلك التعليم السامى « احفظ الله يحفظك . . . » الحديث .

عقل هذا سلفنا الصالح ، فكانت لهم مع الأمراء والعظماء مواقف صدق ، يحمدهم عليها الدين ، ويرضى عنها رب العالمين . من ذلك ما روى أن عمرو بن عبيد دخل على المنصور فقرأ « والفجر وليال عشر » حتى بلغ « إن ربك لبالمرصاد » لمن فعل مثل فعالهم . فاتق الله يا أمير المؤمنين فإن ببابك نيرانا تأجج ، لا يعمل فيها بكتاب الله ولا بسنة رسول الله ، وأنت مسئول عما اجترحوا ، وليسوا مسئولين عما اجترحت ، فلا تصلح دنياهم إلا بفساد آخرتك . أما والله لو علم عمالك أنه لا يرضيك منهم إلا العدل لتقرب به اليك من لا يريده ؟ . فقال له أحد جلساء المنصور :

أسكت فقد غممت أمير المؤمنين فقال عمرو : ويلك يا ابن مجالد ؟ أما كفاك أنك خزنت نصيحتك عن أمير المؤمنين حتى أردت أن تحول بينه وبين من ينصحه ؟ اتق الله يا أمير المؤمنين فإن هؤلاء قد اتخذوك سلما إلى شهواتهم ، فأنت كالماسك بالقرون وغيرك يحلب ، وإن هؤلاء لن يغنوا عنك من الله شيئا ؟ .

بمثل هذه الشجاعة فى الدين كان علماونا الأجلاء لهم المكانة التى لاتدانيها مكانة ، والعزة التى تنقطع دونها الرقاب ، فخشيتهم الملوك لأنهم استمدوا قوتهم من القوى المتين ، فوضع هيبتهم فى النفوس ، وزين أقوالهم وأعمالهم فى أعين سامعيهم ، ورضى عنهم وأرضى عنهم الناس . وهذا مصداق قول النبى صلى الله عليه وسلم « من أسخط الله فى رضا الناس سخط الله عليه وأسخط عليه من أرضاه فى سخطه ، ومن أرضى الله فى سخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه من أسخطه فى رضاه حتى يزينه ويزين قوله وعمله فى عينه » .

وعلى الجملة فواجب العاقل أن يسعى فى مرضاة ربه ولو غضب الناس جميعاً ، فما الناس إلا عبيد ضعفاء ، لايملكون ضراً ولا نفعاً . ومن كان مع الله كان الله معه « إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » .

لم تقولون ما لا تفعلون

فى صحيح البخارى عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتابه فى النار (يريد خروج أمعائه من جوفه) فيدور كما يدور الحمار برحاه ، فيجتمع عليه أهل النار فيقولون : أى فلان ! ما شأنك ؟ ألست كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ قال : كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه ، وأنهاكم عن المنكر وآتيه » ؟

تصف الدواء لذى السقام وذى الضنا
كى ما يصح به وأنت سقيم
لا تنه عن خلق وتأتى مثله
عار عليك إذا فعلت عظيم

كيف ترشد الجاهل

دخل الحسن والحسين رضى الله عنهما المسجد فوجدا رجلا يتوضأ ولا يحسن الوضوء ، فتشاورا فيما يجب عليهما نحو تعليم الرجل ، واتفقا على أن يتقدما إليه ، يشكو كل واحد منهما الآخر فى أنه لا يحسن الوضوء ، ويطلبان منه أن ينظر إلى كل واحد

منهما وهو يتوضأ ثم يحكم بينهما فيقول للمحسن أحسنت وللمسيء أسأت. فقبل الرجل، وتوضأ أحدهما فأحسن الوضوء، وتوضأ الثانى بعده فأحسن مثل أخيه. ففهم الرجل أنه المقصود بالتعليم، فقال لهما: جزاكما الله عنى خيراً، فقد علمتمانى ما كنت أجهل بطريق الحكمة والموعظة الحسنة! من أنتما؟ فقالا له: أبناء على: الحسن والحسين. فقال الرجل: صلى الله وسلم على جدكما الذى أرسله الله للناس سراجا وقمراً منيراً. من بيتكم تصدر الحكم.

الطهارة

إن من يتأمل بعين بصيرته فى تعاليم الإسلام، يرى أنه الدين الذى يلائم الفطر، ويساير الطبيعة، ويوافق العقول السليمة، صالح لكل قوم، ولكل زمان. فلا عجب أن يختاره الله ديناً لعباده، ولا يقبل، منهم سواه: «إن الدين عند الله الاسلام». «ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه، وهو فى الآخرة من الخاسرين.

والإسلام دين الكمال والجمال، لاترى حسناً إلا وقد أشاد بذكره، ورغب فيه، وأمر بالتزود منه، ولا قبيحاً إلا صوره فى صورة تنفر منه القلوب والعقول والأبصار.

فمن محاسنه الجميلة، وخيراته الجزيلة، دعوته إلى تطهير الجسم

والملابس والمكان ؛ كما دعا إلى تطهير الباطن ، وتجميل السرائر ، والإخلاص لله فى كل عمل . فمن الغباوة والجهل أن يقول قائل : ما فائدة الوضوء والغسل فى الديانة الإسلامية ؟ فمن ذا الذى يستطيع إنكار أن نظافة العين أس جمالها وكمالها وسلامتها من الأمراض التى تعرضها لفقد نور البصر ! . وأى عاقل يجادل فى أن نظافة الفم تساعد على انتظام عملية الهضم ، وتمنع ما ينتاب المعدة والأمعاء من الأمراض ؛ وأن الأيدى التى نتناول بها الأطعمة ، ونصافح بها الأحبة ، جدير بها النظافة التى فرضت لها فى الوضوء .

إن فائدة الوضوء والغسل من الجنابة ملموسة مشاهدة محسوسة . فمن ذا الذى ينكر انتعاش البدن عقب الوضوء والغسل ، فضلا عن إزالة ما علق بالجسم من الأقذار الآتية من الهواء ، أو من العرق الذى تفرزه مسام الجلد . إن الأدران محط رحال الجراثيم ؛ فإزالتها تجعل الجسم فى مناعة من العدوى بأى وباء كان ، كما تجعله فى حصن من الأمراض الجلدية .

إذا علمنا ذلك فهمنا السر فى تكليفنا بالوضوء والغسل ، وأمْر الله بهما فى قوله تعالى : « يأيها الذين آمنو إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق ، وامسحوا برءوسكم ، وأرجلكم إلى الكعبين ، وإن كنتم جنبا فاطهروا ، وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء

فتيمموا صعيداً طيبا ، فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ، مايريدالله ليجعل عليكم من حرج ، ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون » .

وإنى أشرح لإخوانى كيفية الوضوء والغسل فى أسطر قلائل بحيث لا يحتاج من يعمل بما أقول إلى سؤال أحد ، سواء أكان مقلداً للإمام مالك أو الشافعى أو غيرهما من أصحاب المذاهب الأربعة ، رضوان الله عليهم جميعا ، فاصغ معى إلى بيان :

كيفية الوضوء

تبدأ بغسل الكفين ، ثم تأخذ غرفة بيدك اليمنى وتمضمض بها فمك ، وتستن بأصبعك أو بالسواك — تفعل ذلك ثلاثا .

ثم تأخذ غرفة أخرى بيمينك فتستنشق بها (واستنشاق الماء إدخاله فى الأنف وجذبه بواسطة النفس) ثم تستنثر بيدك اليسرى ، أى تخرج الماء وماخالطه من الأنف بإخراج نفسك — تفعل ذلك ثلاثا .

ثم تغسل وجهك من منبت شعر الرأس إلى أسفل الذقن ، وما بين الأذنين ، وتدلك بيدك — تفعل ذلك ثلاثا .

ثم تغسل يدك اليمنى إلى المرفق (المفصل) وتدلكها ، ثم اليسرى كذلك — تفعل ذلك ثلاثا أيضا . وتخلل أصابع يديك ، وتنزع خاتمك إن كان ضيقا ، وتحركه إن كان واسعا .

ثم تأخذ قليلا من الماء بيدك اليمنى أو بيديك كلتيهما وتلقى بالماء، ثم تمسح رأسك كلها وأذنيك . وأنت بالخيار بين أن تأخذ لأذنيك ماء جديدا وهو الأولى ، أو تمسحهما بماء الرأس .

ثم تغسل رجلك اليمنى إلى الكعب ثلاثا ، واليسرى كذلك ، وتدلكهما وتخلل أصابعهما . والغسل ثلاثا لكل عضو ليس بلازم، فقد ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه توضأ مرة مرة، ومرتين، مرتين ، وثلاثا ثلاثا ، ولم يزد .

والوضوء على الكيفية المذكورة من خصائص الأمة المحمدية. فقد ورد فى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : إنى سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول « إن أمتى يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل».

وورد فى فضائل الوضوء أحاديث كثيرة ، منها ما رواه الإمام أحمد فى مسنده عن أبى أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : أيما رجل قام إلى وضوئه يريد الصلاة ، ثم غسل كفيه ، نزلت خطيئته من كفيه مع أول قطرة ، فإذا تمضمض واستنشق واستنثر نزلت خطيئته من لسانه وشفتيه مع أول قطرة، فإذا غسل يديه إلى المرفقين ورجليه إلى الكعبين سلم من كل ذنب هوله، ومن كل خطيئة كهيئته يوم ولدته أمه ، فإذا قام إلى الصلاة رفع الله بها درجته ، وإن قعد قعد سليما ».

وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره » رواه مسلم .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء أو مع آخر قطر الماء ، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء ، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقياً من الذنوب » . رواه مسلم .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ، ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء » . رواه مسلم . وفى رواية للترمذى زيادة « اللهم اجعلنى من التوابين ، واجعلنى من المتطهرين » .

كيفية الغسل

تبدأ بإزالة ما علق بالجسم من نجاسة ، ثم تتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم تفيض الماء على جسمك كله وتدلكه .

وسبب الغسل واحد من ثلاث : الجنابة والحيض ، والنفاس .

ومن المعلوم بداهة الذى يشعر به كل إنسان حصول الفتور فى الجسم كله عقب خروج المنى بعد تلك العملية الشاقة. ناهيك مايسبب خروج المنى من ضعف الأعصاب وارتخائها ، ولا يعود للجسم نشاطه إلا بوجود عوض من الدم الصالح بدل الذى خرج ؛ وهيهات أن يعود إلا بعد زمن . ولا بد من بدل ينعش الجسم وينشطه ، وليس إلا الماء ينعش وينشط ، ويذهب الخمول والفتور . ولا ينكر هذا إلا أعمى البصر والبصيرة .

ومن مزايا الوضوء والغسل الدينية ، تجميل الظاهر أمام ملك الملوك الذى يجب الوقوف أمامه على أكمل حالة ، وأجمل هيئة . و « النظافة من الإيمان » .

كيف أسلم أبو ذر الغفارى

سيدنا أبو ذر من قبيلة اسمها غفار ، منازلها بين مكة والشام . وهو من السابقين الأولين ، فصيح اللسان ، جميل الطبع ، حلو الحديث بلغه خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لأخيه : اركب إلى هذا الوادى فاعلم لى علم هذا الرجل الذى يزعم أنه نبى يأتيه الخبر من السماء ، واسمع من قوله ثم ائتنى . فانطلق الأخ حتى مكة وسمع من قول الرسول ثم رجع إلى أبى ذر فقال : ما شفيتنى مما أردت .

فتزود وحمل قربة له فيها ماء حتى قدم مكة ، فأتى المسجد ، فالتمس النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرفه ، وكره أن يسأل عنه ، لما يعرفه من كراهة قريش لكل من يخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا أدركه الليل رآه الإمام على رضى الله عنه ، فعرف أنه غريب ، فأضافه عنده ولم يسأل أحد منهما صاحبه شيئاً . فلما أصبح احتمل قربته وزاده إلى المسجد ، وظل ذلك اليوم ولا يرى الرسول حتى أمسى ، فعاد إلى مضجعه . فمر به الإمام على ، فقال : أما آن للرجل أن يعرف منزله الذى أضيف اليه بالأمس ؟ فأقامه ، فذهب معه لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء ، حتى إذا كان اليوم الثالث عاد إلى مثل ذلك ، ثم قال له الإمام على : ألا تحدثنى ما الذى أقدمك ؟ قال : إن أعطيتنى عهداً وميثاقاً لترشدنى فعلت . ففعل ، فأخبره ، قال : فإنه حق وهو رسول الله . فإذا أصبحت فاتبعنى فإن رأيت شيئاً أخاف عليك قمت كأنى أريق الماء ، فإن مضيت فاتبعنى حتى تدخل مدخلى . ففعل ، فانطلق يتبع أثره حتى دخل على النبى صلى الله عليه وسلم ، ودخل معه . فسمع قوله وأسلم مكانه . فقال له النبى : ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمرى . قال : والذى نفسى بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم ! . فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله . فقام القوم فضربوه حتى أضجعوه . وأتى العباس فأكب عليه ، وقال :

ويلكم أو لستم تعلمون أنه من غفار ، وأن طريق تجارتكم إلى الشام عليه ؟ فأنقذه منهم . ثم عاد من الغد لمثلها . فضربوه وثاروا إليه ، فأكب العباس عليه ، اه البخارى .

وأبو ذر هو الذى يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : « رحم الله أبا ذر ! يمشى وحده ويموت وحده ، ويبعث وحده » . وحكت زوجته عن وفاته فقالت : لما حضرت الوفاة أبا ذر بكيت ، فقال ما يبكيك؟ قالت وما لى لا أبكى وأنت تموت بفلاة من الأرض ، ولا بد لنا من معين فى دفنك ، وليس معنا ثوب يسعك كفنا !. فقال : لا تبكى وأبشرى ، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنفر أنا فيهم : ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين ، وليس من أولئك النفر أحد إلا وقد مات فى قريته ، وإنى أنا الذى أموت بالفلاوة ، والله ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذبت ! فانظرى الطريق . فقالت : قد ذهب الحاج وتقطعت السبل . فقال : انظرى . قالت رضى الله عنها : كنت أشتد إلى الكثيب فأقوم عليه ثم أرجع إليه فأمرضه ، فبينا أنا كذلك ، إذ أنا برجال على رواحلهم كأنهم الرخم ، فألحت بثوبى ، فأسرعوا إلى ووضعوا السياط فى نحورها (الإبل) يستقلون إلى . فقالوا : مالك يا أمة الله؟ فقلت: امرؤ من المسلمين يموت تكفنونه! قالوا : ومن هو ؟ قلت : أبو ذر . قالوا : صاحب رسول الله صلى

الله عليه وسلم ؟ قلت نعم . فأسرعوا إليه حتى دخلوا عليه ، فسلموا عليه، فرحب بهم وقال: أبشروا ، فإنكم عصابة من المؤمنين. وحدثهم الحديث ، وقال : لو كان لى أولها ما يسعنى كفنا ما كفنت إلا فيه. ثم قال رضى الله عنه : وإنى أنشدكم الله والإسلام لا يكفننى منكم رجل كان أميرا ولا عريفا ولا بريدا أو نقيبا ! ولم يكن منهم احد سلم من ذلك إلا فتى من الأنصار . فقال : والله لم اصب مما ذكرت شيئا ، أنا أكفنك فى ردائى هذا وثوبين من غزل أمى . ثم مات فكفنه الفتى الأنصارى ودفنه فى النفر الذين معه ، وصلى عليه عبد الله بن مسعود .

وورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق من أبى ذر » وبايع أبو ذر النبى صلى الله عليه وسلم « على أن لا تأخذه فى الله لومة لائم ، وعلى أن يقول الحق وإن كان مرا » .

وكم من وصايا ظفر بها من النبى صلى الله عليه وسلم منها قوله : « أوصانى خليلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن أنظر إلى من هو دونى وأن لا أنظر إلى من هو فوقى، وأن أحب المساكين وأن أتودد إليهم ، وأن أصل رحمى وإن قطعونى وجفونى ، وأن أقول الحق وإن كان مرا ، وأن لا أخشى فى الله لومة لائم ، وألا أسأل

أحدا من الناس شيئا ، وأن أكثر من لاحول ولاقوة إلا بالله فإنها من كنوز الجنة » .

ومنها قوله : « أوصانى خليلى بأربع : قال لى يا أبا ذر استكثر الزاد فإن السفر طويل ، وأحكم السفينة فإن البحر عميق ، وخفف ظهرك فإن العقبة كئود ، وأخلص عملك فان الناقد بصير . . . » وفى الأثر : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « أبو ذر فى أمتى شبيه عيسى بن مريم فى زهده » .

وإنما سقت لك ترجمة هذا الصحابى الجليل لأعطيك صورة عن عظمة أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، وقوة يقينهم بالله ، وشدة حرصهم فى البعد عن الشبهات ، وعلو همتهم فى إعلاء كلمة الله ، وجهرهم بكلمة الحق مهما أوذوا فى سبيلها ، وتحريهم الحلال الطيب. والسعيد من جعلهم قدوته فيسير سيرهم ، وينهج نهجهم : « أولئك الذين هدى الله ، فبهداهم اقتده » .

نسأل الله أن يرزقنا الإخلاص فى القول والعمل ، ويهدينا صراط الذين أنعم عليهم فرضى عنهم ورضوا عنه .

وبعد : فقد قدمنا لك نبذة فى الوضوء والغسل ، ونقدم لك الآن كلمة عن :

التيمم

جعل الله سبحانه وتعالى دين الإسلام يسرا خاليا من التكلف

والحرج » وماجعل عليكم فى الدين من حرج » . ومن مظاهر سماحة الإسلام ويسره : أنه شرع لمن أحدث حدثا أصغر أو أكبر، استعمال الماء إذا أراد أن يتقرب إلى الله بالصلاة، فاذا عجز عن استعمال الماء بأن كان مريضا يؤذيه استعماله ، أو فقد الماء فلم يجده ، أو وجده ولكنه محتاج إليه للشرب أو العجين ، فماذا يفعل إذا أراد أن يتطهر أو يدخل فى الصلاة ؟ لاشك أنه ينبغى أن يبحث عن خلف للماء ينوب منابه ويقوم مقامه . ونرى كثيرا من الناس يستعمل التراب مع الماء لإزالة ما علق باليد عند فقد الصابون ؛ كما أن الحذاء إذا أصيب بنجاسة يطهر بدلكه بالتراب . والشارع الحكيم اشترط لتطهير الإناء الذى ولغ فيه الكلب أن يغسل سبعا إحداهن بالتراب، والإنسان مخلوق من ماء وطين ؛ والطين أصله التراب .

وعلى ضوء هذا يمكن إدراك بعض السر فى تكليفنا باستعمال الصعيد الطاهر عند فقد الماء أو عدم القدرة على استعماله ؛ قال الله تعالى « وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً » . وروى البخارى فى صحيحه من حديث عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً ، فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل » وفى لفظ « فعنده طهوره ومسجده » .

ولزيادة الإرشاد أقول : إن المحدث الذى يريد الصلاة يحتاج إلى

نوعين من الطهارة : واحدة حسية ، وأخرى روحية ؛ فإذا عدم الماء أو وجده ولا قدرة له على استعماله ، فلا أقل من إظهار كمال الامتثال والخضوع ، بمسح أشرف عضو فيه وهو الوجه بالتراب . وفى هذا أكبر مظهر من مظاهر ذل العبد لربه وامتثاله لأمره .

وبعد الذى تقدم من حكمة الأمر بالتيمم أقول لك: إذا لم تجد ماء أو وجدته ولكن عذراً منعك من استعماله ، فلا عليك إذا أردت أن تتطهر وتصلى إلا أن تتيمم : بأن تضرب على الأرض أو على الحجر أو الرمل أو الحصى ضربتين بكفيك ، تمسح بالضربة الأولى وجهك من منبت الشعر إلى أسفل الذقن إلى شحمتى الأذنين ، وتمسح بالضربة الثانية يدك .

وكيفية ذلك أن تمسح بكفك اليسرى يدك اليمنى إلى المفصل ، وبكفك اليمنى يدك اليسرى كذلك ، وتخلل أصابعك ، وتنزع خاتمك إن كان . والأحسن أن يتيمم المعذور لوقت كل صلاة . والنية شرط فى التيمم .

ولعلى وفقت فى إعطائك صورة واضحة عن التيمم وحكمته فى هذه الكلمة الوجيزة .

المسح على الجبيرة

وهذه أيضاً من باب « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » . فقد يصاب المرء فى بعض الأحيان بكسر عضو من أعضائه ، فيذهب إلى

الطبيب فيضع له عيدان الجريد على العضو المنكسر ؛ وهذا ما يسمى بالجبيرة . فاذا أراد أن يتوضأ أو يغتسل فعليه أن يغسل أعضاءه السليمة ويمسح فوق الجبيرة ، ويصلى ولا يعيد الصلاة . وكذلك الحكم إذا ربط عضو مجروح ، فيمسح على الرباط إذا كان الماء يضر المربوط ، فان سقط الرباط عن العضو أو وقعت الجبيرة ، بطل الوضوء ؛ فيلزم فى هذه الحالة إعادة الرباط إلى موضعه ، وكذلك الجبيرة ، ويتوضأ ويمسح كما تقدم « ذلك تخفيف من ربكم ورحمة » .

وللترويح عن نفسك ، ولتغذية روحك وتقوية يقينك ، أذكر لك كلمة فى موضوع هام تتوقف عليه سعادتك فى الدين والدنيا ، وهو :

القناعة والامانة

القناعة كنز لا يفنى . ومن رزق القناعة رزق الغنى . والقناعة رأس مال الصالحين . وفى الحديث « ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس » . ومن رضى بما أعطاه مولاه استوى عنده القليل والكثير ، والموجود والمعدوم ، وحفظ لنفسه عزتها وكرامتها ، فلا يمد عينيه إلى ما فى أيدى غيره ، ولا يطمع فيما ليس له ؛ فالناس منه فى راحة ، والعرض منه مصون . ورحم الله الإمام الشافعى حيث يقول :

أمت مطامعى فأرحت نفسى فان النفس ماطمعت تهون
وأحييت القنوع وكان ميتا فنى إحيائه عرضى مصون
إذا طمع يحل بقلب عبد علته مهانة وعلاه هون

ويقول :

عزيز النفس من لزم القناعه ولم يكشف لمخلوق قناعه
أفادتنى القناعة كل عز وأى غنى أعز من القناعه
فصيرها لنفسك رأس مال وصيرها مع التقوى بضاعه

وإليك قارئى الكريم حديثاً رواه البخارى ومسلم يبين ماينبغى أن يتحلى به الانسان من القناعة والرضا وترك الشره والطمع :

فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: « اشترى رجل من رجل عقارا ، فوجد الذى اشترى العقار فى عقاره جرة فيها ذهب، فقال له الذى اشترى العقار : خذ ذهبك، إنما اشتريت منك الأرض ولم اشتر الذهب، وقال الذى له الأرض: إنما بعتك الأرض وما فيها . فتحاكما إلى رجل فقال الذى تحاكما إليه : ألكما ولد ؟ قال أحدهما : لى غلام ، وقال الآخر : لى جارية (بنت)، قال : أنكحا الغلام الجارية وأنفقا على أنفسهما ، فتصرفا » .

فانظر يارعاك الله إلى زهد الرجلين ، وعظمة نفوسهما ، وشدة قناعتهما ، حتى إن كل واحد منهما يرفض أخذ الذهب الموجود فى الأرض ، فيحكمان رجلا يفصل بينهما . نسأل الله الرضا والقناعة .

ولا يحسبن إنسان أن الرضا والقناعة معناهما التواكل والكسل والخمول ، فيجلس المرء فى بيته ويقول : أنا راض بما قسم الله لى ، أنا قانع برزقى . . . فالإنسان مطالب بالسعى وتحصيل الرزق ، وسلوك كل طريق مشروع للغنى . ونعم المال الصالح للرجل الصالح . والله تعالى يقول فى كتابه الكريم « فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور » ويقول سبحانه « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله » . ونكتفى بهذا لنسمعك كلمة موجزة عن .

الأمانة

والأمانة ثمرة القناعة ونتيجتها . فالقنوع أمين ، والراضى بما أعطى لايخون . والأمانة سر الإيمان ونور اليقين ، وحلية الرسل وسمة الصالحين ، ما فشت فى قوم إلا كان النصر حليفهم ، والسعد أنيسهم . وأولى الأمانات بالحفظ : أمانة الله ، وهى إمتثال أوامره واجتناب نواهيه .

فلسانك أمانة لديك من الله ؛ إن حفظته عن الغيبة والنميمة وهجر القول ، واستعملته فى ذكر الله وتسبيحه وتلاوة كلامه ، فقد حفظت الأمانة .

وعيناك أمانة من الله لديك ، فإن جنبتهما النظر إلى ما حرم

الله واستعملتهما فيما يعود عليك بالسعادة فى الدنيا والآخرة فقد حفظت الأمانة . وهكذا سائر أعضائك، كلها أمانات من الله تسأل عنها يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم . فحاذر أن تطلق لسانك ينهش أعراض خلق الله ، أو تستعمل يديك فى إيذاء أحد ، أو تنظر بعينيك إلى ما حرم الله ، أو تضع فى قلبك الحقد والبغضاء ، بدل المودة والمحبة والوفاء .

وإن من الأمانة أن تؤدى ما فرض الله عليك من صلاة وزكاة وصيام وحج ، وأن تدفع لمن ائتمنك أمانته . وإذا ائتمنك انسان على مزرعته أو دكانه فلا تسرقه ، وإذا ائتمنك على نفسه فلا تسلمه لأعدائه ، وإذا ائتمنك على سره فلا تظهره .

ومن علامات النفاق خيانة الأمانة ، فقد روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان » وفى رواية لمسلم زيادة « وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم » . ولا إيمان لمن لا أمانة له . وأول ما يرفع من قلوب العباد الأمانة . وإذا نزعت من القلوب كان ذلك من علامات الساعة . وفى الحديث أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم قائلا : متى الساعة ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا ضيعت

الأمانة فانتظر الساعة ، فقال : وكيف إضاعتها ؟ فقال : إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة » .

ومن ذلك يعرف أسباب إختلال الأحوال وفساد الأمور ، لأن إسناد الأمور لغير من يحسنها ، عن طريق المحسوبية والقرابة والرشوة ، يوجد الضغينة فى قلوب الأكفاء ، ويقوض نظام الأمة . ويحدث الخلل فى إدارتها ، وينذر باستعبادها ومحوها من سجل الأمم الراقية . وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول : « إذا وسدَ الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة » . وإنى أمتعكم بحديث فيه عبرة لمن يعتبر ، وذكرى لمن يتذكر ؛ وليكن مسك الختام فى الكلام على الأمانة . والحديث رواه البخارى ، وخلاصته مع بعض تصرف فى اللفظ لبيان المعنى :

« أن رجلا من بنى إسرائيل سأل بعض بنى إسرائيل أن يسلفه الف دينار ، فطلب منه أن يأتيه بالشهداء يشهدهم على ذلك ، فقال : كفى بالله شهيداً . فطلب منه أن يأتيه بكفيل ، فقال : كفى بالله كفيلا . قال له : صدقت ، ودفع إليه الألف دينار إلى أجل مسمى. فخرج الذى استلف المال فى البحر فقضى حاجته ، ثم التمس مركبا يركبها ليصل إلى صاحبه ويدفع له ماله — حيث قد حل الأجل المضروب بينهما — فلم يجد مركبا . وخرج صاحب المال إلى الساحل يسأل عن صاحبه ، ويقول : اللهم اخلفنى وإنما أعطيت

لك ؟ . ولما لم يجد المدين مركبا توصله إلى صاحب الدين أخذ خشبة فنقرها وأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه الذى أخذ منه المال ، ثم سمرها بمسامير ، وأتى بها إلى البحر فقال : اللهم إنك تعلم أنى كنت تسلفت فلانا ألف دينار ، فسألنى كفيلا فقلت كفى بالله كفيلا فرضى بك ، وسألني شهيداً فقلت كفى بالله شهيداً فرضى بك ، وإنى جهدت أن أجد مركبا أبعث إليه الذى له فلم أقدر ، وإنى أستودعتكها ، والقاها فى البحر ، ثم انصرف وهو يأمل أن يجد مركبا فيأخذ ألف دينار أخرى ويذهب إلى صاحبه . فخرج صاحب المال ينظر لعل مركبا قد جاء بماله ، فإذا بالخشبة التى فيها المال ، فأخذها لأهله حطبا ، فلما نشرها وجد المال والصحيفة . ثم وجد الذى كان استلف مركبا فركب فيها وجاء بألف دينار وقال لصاحبه معتذراً عن التأخير : والله مازلت جاهداً فى طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركبا مثل الذى أتيت فيه ؟ قال : هل كنت بعثت إلى شيئا ؟ قال : أخبرك أنى لم أجد مركبا قبل الذى جئت فيه . قال : فإن الله قد أدى عنك ما عليك ، فانصرف راشداً » .

وفى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله » .

وفى كتاب الله العزيز : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها » .

ويكفى ما قدمناه فى باب الأمانة ، لنذكر لك ما يشرح صدرك وينير قلبك ، ويهديك صراطا مستقيما . فاقرأ ما سأتلوه عليك وتحل بالعمل به ، تسعد فى الدنيا والآخرة :

الصلاة

الصلاة عماد الدين ، بل هى روح الإسلام ، من أقامها وأداها فقد أبقى للدين روحه الذى به الحياة ، ومن تركها وضيعها فلا دين ولا إيمان له .

الصلاة هى الصلة التى تربط العبد بمولاه ، من حافظ عليها كان بينه وبين ربه رابطة وسبب ، ومن هجرها ولم يؤدها هلك وخسر .

الصلاة نور على الصراط ، وأمان من النار . الصلاة وقفة بها يترك المرء مألوفاته من طعام وشراب ، وحركات وكلام ، غير ما شرع فى الصلاة . يتجه الشخص فيها إلى بيت الله الحرام ، فهى صورة أدب واحترام ، ومظهر خضوع وإجلال من العبد لخالقه ومولاه ، يؤدى به واجب التقديس والتعظيم ، شأن العبيد بين يدى ساداتهم ، والرعية أمام ملوكهم .

يقف المرء بين يدى ربه فيبدأ بالاعتراف لله بأنه أكبر من كل

شيء (الله أكبر)، وكل شيء بالنظر إليه صغير حقير، ثم يأخذ فى الثناء على الله، ويخصه بالعبادة والاستعانة، متوجهاً إليه ضارعاً أن يهديه صراطه المستقيم، وأن يجعله من الذين أنعم عليهم بالتوفيق والهداية، وأن يجنبه طريق المغضوب عليهم لانحرافهم عن سواء السبيل بعد أن عرفوه، ويبعده عن سبيل الضالين المتحيرين الذين عبدوا أهواءهم وشيطانهم. وعندئذ تمتلىء نفس المصلى بعظمة الله وجلاله، وقوة سلطانه. فيخر راكعا ساجدا، مظهراً الذلة والمسكنة إلى من بيده ملكوت السموات والأرض.

فمزايا الصلاة الدينية. خشوع وخضوع، وإقرار بعظمة الواحد القهار. ومتى امتلأ القلب من هيبة الله وخشيته، كف عن المحرمات وارتكاب الآثام، فحق ماقال الله سبحانه فى القرآن الكريم «إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر».

وللصلاة مزايا صحية لا يستطيع جاحد إنكارها ولا الغض من قيمتها. فمن ذا الذى ينكر أن فى رفع اليدين وانخفاضهما، وفى القيام والجلوس من الحركات الرياضية ما لم يتوصل إليه أحذق رياضى فى هذا العصر؟ فهذه الحركات المنتظمة تريح العمود الفقرى وتقوى الأعصاب، وتذهب التعب عن الجسم، وتبعث فيه النشاط، وتلين المفاصل، وتقوى حركة الدم، وتساعد المعدة على سرعة الهضم. وإنه لخير عظيم لمن يدعون إلى تعميم الرياضة فى المدارس

أن يحضوا التلاميذ على تأدية الصلاة ، فهى كفيلة بتقوية أجسامهم، وحفظ صحتهم ، والله لا يضيع أجر العاملين .

والصلاة شريعة قديمة ، كلف الله بها الأمم من قبلنا ؛ غير أن الصلاة فى الإسلام تمتاز عن الصلاة فى غيره بالقراءة ، وبكونها ذات أوقات محدودة ، وصفات خاصة من قيام وركوع وسجود .

ولتعلم أن الصلاة شرعة قديمة ، نسوق لك آيات من القرآن الكريم تبين ذلك : فمن دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام « رب اجعلنى مقيمَ الصلاة ومن ذريتى ، ربنا وتقبل دعاء » . ومدح الله إسماعيل عليه السلام بقوله « واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا . وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا » . وأوحى الله إلى موسى وأخيه « أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة ، وبشر المؤمنين » . ووصى لقمان ابنه بها « يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ، إن ذلك من عزم الأمور » . وقال الله لمريم ابنة عمران « يامريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين » . وقال عيسى بن مريم « وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا » . وقد جعل الله الصلاة مفتاح الرزق ، فقال جل شأنه لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم : « وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ، لا نسألك رزقا نحن نرزقك ، والعاقبة للتقوى » .

ولما كانت الصلاة بالمنزلة التى علمت جاء فى القرآن والأحاديث وعيد شديد لتارك الصلاة ، فمن القرآن قوله تعالى : « يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون ، خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ، وقد كانو يدعون إلى السجود وهم سالمون » . وقال تعالى : « فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ، إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا » وبين الله سبحانه جواب المجرمين لأهل اليمين بعد أن يستقر أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار ، فقال جل شأنه : « كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين ، فى جنات يتساءلون عن المجرمين : ماسلككم فى سقر ؟ قالوا : لم نك من المصلين ، ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين . وكنا نكذب بيوم الدين ، حتى أتانا اليقين ، فما تنفعهم شفاعة الشافعين » .

وقد وصف الله المنافقين بأنهم إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى ، والمنافقون فى الدرك الأسفل من النار .

ووردت أحاديث كثيرة فى عقاب تارك الصلاة ، منها ما رواه أحمد وابن حبان عن النبى صلى الله عليه وسلم وقد ذكرت الصلاة بين يديه يوماً فقال : « من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا ولا برهانا ولا نجاة ، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان

وأبى بن خلف » . وعنه صلوات الله وسلامه عليه قال: « بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة » . وقال أيضاً « لا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تتركوا الصلاة عمداً ، فمن تركها عمدا متعمداً فقد خرج من الملة».

هذا وقد رغب الله فى المحافظة على الصلاة ووعد المحافظين عليها بالفلاح وإرث الفردوس ، فقال سبحانه : «والذين هم على صلواتهم يحافظون ، أولئك هم الوارثون ، الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون». وروى الإمام مسلم فى صحيحه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها » ، والمعنى: لا يدخل النار من صلى الفجر والعصر فى أوقاتهما . ولا بد مع ذلك من المحافظة على باقى الصلوات . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شىء . قالوا : لا يبقى من درنه شىء . قال : فذلك مثل الصلوات الخمس : يمحو الله بهن الخطايا » . رواه البخارى . وعنه أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر » . رواه مسلم .

وفى أبى داود عنه صلى الله عليه وسلم قال : قال الله عز وجل: «إنى فرضت على أمتك خمس صلوات ، وعهدت عندى عهداً : أنه من جاء يحافظ عليهن لوقتهن أدخلته الجنة ، ومن لم يحافظ عليهن فلا عهد له عندى » .

الخشوع روح الصلاة

عن عائشة رضى الله عنها قالت : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه ، فإذا حضرت الصلاة فكأنه لا يعرفنا ولا نعرفه .

وإنى أقول والأسف يملأ الفؤاد . إن كثيراً من المصلين لايحلو لهم ترتيب أعمالهم إلا وهم فى الصلاة ، فتجد المصلى عقب شروعه فى صلاته لا خشوع عنده ولا خضوع ، بل تفكيره فى زرعه إن كان مزارعا ، وفى تجارته إن كان تاجراً ، وفى صناعته إن كان صانعا ، وفى الانتقام والأذى إن كان فاسقا . والسبب فى هذا استيلاء الشيطان على النفوس ، وإفساده على الناس صلاتهم بوسوسته . ولا دواء لهذا إلا بالتفكر والتدبر فى معنى ما يقرأ المصلى ، واستحضار عظمة الله وجلاله .

وأعلم أنه ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها ، فإن عقلت نصفها فهو لك ، وإن عقلت ثلثها فهو لك ، وإن لم تعقل منها شيئاً فلاحظ لك من صلاتك غير التعب .

ويعينك على الخشوع فى الصلاة تأديتها على وجه الكمال : بأن تتم ركوعها وسجودها . فقد روى البخارى عن أبى وائل عن حذيفة رضى الله عنه أنه رأى رجلا لا يتم ركوعه ولا سجوده ، فلما قضى

صلاته قال له حذيفة : ما صليت ! قال وائل وأحسبه قال . لو مت مت على غير سنة محمد . وقال صلى الله عليه وسلم أسوأ الناس سرقة الذى يسرق من صلاته قالوا يارسول الله كيف يسرق من صلاته قال لا يتم ركوعها ولا سجودها » . وقال صلوات الله وسلامه عليه (إن العبد إذا صلى فأحسن الصلاة صعدت ولها نور ، فإذا انتهت إلى أبواب السماء فتحت أبواب السماء لها ، وتشفع لصاحبها وتقول : حفظك الله كما حفظتنى ، وإذا أساء فى صلاته فلم يتم ركوعها ولا سجودها ولا حدودها صعدت ولها ظلمة ، فتقول ضيعك الله كما ضيعتنى فإذا انتهت إلى أبواب السماء غلقت دونها ثم لفت كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها » . وإنى أثبت هنا حديثا يبين بجلاء بطلان الصلاة الخالية من الطمأنينة .

روى البخارى وغيره عن أبى هريرة رضى الله عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فدخل رجل فصلى ، فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم ، فرد وقال . ارجع فصل فإنك لم تصل ، فرجع فصلى كما صلى ، ثم جاء فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال . ارجع فصل فإنك لم تصل — ثلاثا — فقال . والذى بعثك بالحق ما أحسن غيره فعلمنى . فقال . « إذا قمت إلى الصلاة فكبر ، ثم اقرأ ماتيسر معك من القرآن ، ثم اركع حتى تطمئن راكعا ، ثم

ارفع حتى تعتدل قائما ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ، ثم ارفع حتى تطمئن جالسا ، وافعل ذلك فى صلاتك كلها .

والكلام على الصلاة وتفصيلها لا يسعه هذا الكتيب ، وإن شاء الله — والتوفيق بيده — سأضع رسالة خاصة تطبع على حدة موضوعها الصلاة . والآن استروح معى ريح القبول والوصول فى الحكاية الآتية

كيف تصل إلى الله

يموه كثير من الدجالين — باسم الطرق — على العامة ، وقد تفننوا فى تضليل السذج من الناس ، بأساليب وحيل أتقنوها غاية الإتقان، فهم يعلمون أن الشعب المصرى شعب متدين ، يحب الصالحين ، ويتبرك بآثارهم ، ويحسن الاستماع لسيرتهم . فهم الدجالون ذلك فتزيوا بزى أهل الصلاح فى عرف العامة ، فهذا رجل له عمامة خضراء ، وآخر له عمامة حمراء ، وثالث له عمامة سوداء مع اتشاح كل واحد بمسبحة طويلة ، وهيئة وقورة ، وتمتمة تشبه الهذيان ، وريم ينبثق من الفم بشكل يدعو إلى الدهشة ، مع لبس المرقعات ، وأخذ الأناوات ، وارتكاب المنكرات . والإسلام لا يعنى بالمظاهر الكاذبة ، وإنما يعنى بالقلوب والأعمال : إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسامكم ، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم . ولا أدرى ما الرابطة بين الإسلام وأكل

الزجاج والثعابين ، والنقر على الباذات ، ودق الطبول ، والتمايل العجيب ! !

إن التصوف الحق ، هو العمل بكتاب الله ، واتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، من حاد عن هذا فقد ضل ضلالا مبيناً .
ويرحم الله القائل :

ليس التصوف لبس الصوف ترقعه
ولا بكاؤك إن غنى المغنونا
ولاصياح ولارقص ولاطرب ولا اضطراب
كأن قد صرت مجنونا
بل التصوف أن تصفو بلا كدر
وتتبع الحق والقرآن والدينا
وأن ترى خاشعاً لله مكتئباً
على ذنوبك طول الدهر محزونا

وقد أجاد غيره وقال :

علم التصوف علم ليس يدركه
إلا أخو فطنة بالحق معروف
وكيف يعرفه من ليس يشهده
وكيف يشهد ضوء الشمس مكفوف !

إن طريق الوصول إلى الله معبد لمن أراد ، سهل لمن شاء ، ذلك هو تقوى الله فى السر والعلن ، والاقتداء بسيد المرسلين وأصحابه الأكرمين .

وقد وصف الله الأولياء بوصفين ، فمن تحقق فيه الوصفان فهو ولى بنص القرآن الكريم ، قال الله تعالى « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون » فكل من اتصف بالإيمان الكامل والتقوى ، فهو ولى ، لا يخاف إذا خاف الناس ، ولا يحزن إذا حزنوا ، لأن الله تولاه برعايته وعنايته فهو موضع إكرامه ، ومحل إنعامه ، له البشرى فى الحياة الدنيا وفى الاخرة .

وقد أساء كثير من أرباب الطرق إلى أولياء الله بنسبة بعض الخوارق إليهم ، وبالغوا فى ذلك ، مع أن الكثير مما ينسبونه إلى الأولياء لا يقدر عليه إلا الله تعالى ، فالذى يفرج الكربات هو الله ، والذى يكشف الغموم والهموم هو الله ، والذى يعلم الغيب هو الله ، والذى يرفع ويخفض ويحيى ويميت ويغنى ويفقر هو الله . فمن نسب شيئاً من ذلك وما شابهه إلى غيره فقد أشرك بالله ، والذين يتمسحون بالأضرحة ويطوفون حولها ، ويتقربون بالنذور اليها ، قد جهلوا الإسلام وتعاليمه ، وبعدوا عن القرآن وهديه ، وأساءوا إلى أنفسهم وإلى دينهم ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً .

وإلى القارىء قصة رجل من المؤمنين وصل إلى الله بالعمل بأوامره ، وبذل غاية الجهد فى طاعته والتقرب اليه :

يروى أن مملوكا ذهب به سيده إلى السوق ليبيعه ، فجاء إنسان يشتريه ، فقال له المملوك : ياسيدى قبل أن تشترى لى عليك ثلاثة شروط. قال: ماهى؟قال: إذا حان وقت الصلاة دعنى أصلى، وأخدمك نهاراً ، وأما الليل فلا سبيل لك على ، وتفرد لى فى بيتك حجرة لا يدخلها غيرى . فقال : قبلت هذه الشروط. واستمر المملوك يخدم سيده الجديد حسب الاتفاق والشروط . وفى ذات ليلة أرق سيده وجفاه النوم ، فقام يمشى فى رحبات قصره حتى وصل إلى حجرة الخادم، فرأى عجبا : رأى سقف الحجرة مرفوعاً ونورا من السماء نازلا إلى الحجرة ، والعبد ساجد يقول:والله يارب لولا إنك أمرتنى بخدمة سيدى نهاراً لخدمتك ليلا ونهاراً ! فرجع الرجل إلى زوجته وأخبرها ما رأى، فقالت: هيا معى لأرى ما رأيت. فقال : لها على رسلك إلى الليلة المقبلة فى مثل هذا الموعد. وفى الميعاد توجه الرجل وزوجته إلى حجرة الخادم، فرأيا المنظر بعينه ، والعبد ساجد يقول قولته السابقة . فنادت المرأة بأعلى صوتها : يا هذا قد عرفناك، أنت السيد ونحن العبيد ! . فلما علم أن أمره انكشف قال :

يا صاحب السر إن السر قد ظهرا
ولا أريد حياة بعد ما اشتهرا

وفاضت روحه إلى خالقها .

وهكذا يفعل الله بالمتقين المخلصين فيعطيهم الكرامة فى الدنيا، ويوم القيامة لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

النذور وما قيل فيها

يدفعنى للخوض فى هذا الموضوع ما أراه من تنكب بعض المسلمين طريق الدين واتباعهم الهوى ، فقد جهلوا شرع ربهم فأتوا المنكر على أنه معروف ، فإذا دعاهم داع إلى الله أن ارجعوا إلى كتاب ربكم وإلى سنة نبيكم فاعملوا بما فيهما من هدى ورشاد، صموا آذانهم ، وولوا مدبرين ، وقالوا « إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون » . وان مما شاع وانتشر فى المدن والقرى مسألة النذر للأحياء والأموات . فأحببت أن أذكر للمسلمين بيان أهل العلم لحكم الله فى النذر، عملا بواجب التذكير «فإن الذكرى تنفع المؤمنين».

النذر نوعان : نذر للمخلوق ، ونذر للخالق. فالأول كأن يقول المرء: نذرت للشيخ فلان أو لسيدى فلان — حياً كان أو ميتاً — ذبيحة، أو كذا نقوداً ، أو أختن (أطاهر) ابنى ، أو أحلق له فى سيدى فلان .. كل هذا لاشك فى حرمته، وأنه معصية، ومن أعمال الجاهلية الذين كانوا يعبدون الأوثان ، ويتقربون إلى الأصنام .

قال صاحب سبل السلام وأما النذور المعروفة فى هذه الأزمنة على القبور والمشاهد والأموات ، فلا كلام فى تحريمها ؛ لأن الناذر يعتقد فى صاحب القبر أنه ينفع أو يضر ، ويجلب الخير، ويدفع الشر، ويعافى المريض ، ويشفى السقيم . وهذا هو الذى كان يفعله عباد

الأوثان بعينه، فيحرم كما يحرم النذر على الوثن، ويحرم قبضه لأنه تقرير على الشرك، ويجب النهى عنه، وإبانة أنه من أعظم المحرمات، وأنه الذى كان يفعله عباد الأصنام لكن طال الأمد حتى صار المعروف منكراً، والمنكر معروفا، وصارت تعقد الألوية لقاض النذور على الأموات، ويجعل للقادمين إلى محل الميت مضافات، وينحر فى بابه النحائر من الأنعام. وهذا هو بعينه الذى كان عليه عباد الأصنام..اهـ.

فيتلخص من كلامه رحمه الله أن النذر للمخلوق حرام، والذى يقبضه يقبض حراماً ويأكل سحتا. وهذا هو رأى العلماء والأئمة، لا يمارى فيه إلا من باع دينه بشىء من حطام الدنيا لا يغنى عنه من الله شيئاً «يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم».

والثانى: النذر لله تعالى، وهو قسمان: نذر مطلق، ونذر مشروط بشرط.

فالأول: كأن يقول: لله على صيام ثلاثة أيام فى كل شهر. أو أصلى فى يوم كذا كذا ركعات، أو أتصدق بكذا دراهم، غير مقيد النذر بقيد من شفاء مريض أو ربح فى تجارة... الخ.

والثانى وهو النذر المشروط بشرط؛ كأن يقول: لله على كذا من صوم أو صلاة أو حج أو مال، إن شفى الله مريضى أو قضى لى الأمر الفلانى، أو ربحت القضية الفلانية.

وهذا النوع بقسميه هو الذى أريد أن أسوق لك أيها القارىء الكريم ما قيل فيه حتى تكون على بينة من أمر دينك. فاستمع معى

إلى هذا الحديث الذى رواه البخارى ومسلم، وتأمل ماقال الأئمة والعلماء فيه، حتى تعلم الحق، ولعلك تتبعه؛ وهذا هو الحديث:

عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم «أنه نهى عن النذر وقال: إنه لا يأتى بخير، وإنما يستخرج به من البخيل».

ذكر شارح بلوغ المرام: أن أكثر الشافعية — ونقل عن المالكية — أن النذر مكروه لثبوت النهى عنه. واحتجوا بأنه ليس طاعة محضة، لأنه لم يقصد به خالص القربة، وإنما قصد أن ينفع نفسه أو يدفع عنها ضرراً بما التزم. وجزم الحنابلة بالكراهة، وفى رواية عندهم أنها كراهة تحريم. ونقل الترمذى كراهة النذر عن بعض أهل العلم من الصحابة. وقال ابن المبارك: يكره النذر فى الطاعة والمعصية. فإن نذر بالطاعة كصيام أو صدقة ووفى به كان له أجر. وذهب النووى وجماعة إلى أن النذر مستحب. وكأن بعض أهل العلم لم يعجبه قول من يقول باستحباب النذر فقال: وأنا أتعجب ممن أطلق لسانه بأن النذر ليس بمكروه مع ثبوت النهى الصريح فأقل، درجاته أن يكون مكروها. ويعجبنى قول ابن العربى: النذر شبيه بالدعاء فإنه لا يرد القدر لكنه مع القدر. وقد ندب إلى الدعاء ونهى عن النذر؛ لأن الدعاء عبادة عاجلة، ويظهر به التوجه إلى الله والخضوع والتضرع، والنذر فيه تأخير العبادة إلى حين الحصول، وترك العمل إلى حين الضرورة. قال صاحب سبل السلام: القول بتحريم النذر هو الذى دل عليه الحديث، ويزيده تأكيدا تعليله بأنه لا يأتى بخير،

فإنه يصير إخراج المال فيه من باب إضاعة المال ، وإضاعة المال محرمة ، فيحرم النذر بالمال كما هو ظاهر قوله « وإنما يستخرج به من البخيل » . وأما النذر بالصلاة والصيام والزكاة والحج والعمرة ونحوها من الطاعات ، فلا يدخل فى النهى .

يؤيد هذا ما يروى بسند صحيح عن قتادة فى قوله تعالى: «يوفون بالنذر » قال : كانو ينذرون طاعات : من الصلاة والصيام وسائر ما افترض الله عليهم .

فأنت ترى أرشدك الله تعالى، أن من نقلنا عنهم من الأئمة والعلماء لا يستحسنون النذر ؛ بل ظاهر حديث النبى صلى الله عليه وسلم يدل على النهى عن النذر وأنه لا يأتى بخير .

إذا علمت هذا فهل يجب الوفاء بالمنذور به ؟ أو هناك مسلك آخر للخروج من النذر ؟ وللجواب على ذلك : يروى فى الصحيحين واللفظ لمسلم عن عقبة بن عامر ، قال : نذرت أختى أن تمشى إلى بيت الله حافية ، فأمرتنى أن أستفتى لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستفيته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لتمش ولتركب » وفى رواية لأحمد والأربعة « فلتختمر ولتركب ولتصم ثلاثة أيام » . دل الحديث على أن من نذر أن يمشى إلى بيت الله لا يلزمه الوفاء ، وله أن يركب وإن كان قادرا على المشى .

ويؤخذ من بعض الأحاديث الصحيحة أن من نذر شيئاً فلا يلزمه الوفاء ، مالا كان أو صياما أو حجاً أو صلاة أو غير ذلك

من أنواع الطاعات . ففى حديث مسلم عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كفارة النذر كفارة يمين » . فالحديث يدل على أن الناذر مخير بين الوفاء بالنذر وبين كفارة يمين . وقد أخرج البيهقى عن عائشة رضى الله عنها — فى رجل جعل ماله فى المساكين صدقة — قالت « كفارة يمين » أى عليه كفارة يمين . وأخرج أيضاً عن أم صفية أنها سمعت عائشة رضى الله عنها ، وإنسان يسألها عن الذى يقول : كل ماله فى سبيل الله أو كل ماله فى رتاج الكعبة : ما يكفر ذلك ؟ قالت عائشة : يكفره ما يكفر اليمين . وكذا أخرجه عن عمر وابن عمر وأم سلمة رضى الله عنهم .

وذهب جماعة من العلماء إلى تفصيل فى المنذور به ، فقالوا : إن كان فعلا لا يقدر عليه فلا ينعقد النذر أصلا ، وإن كان مقدوراً عليه فإن كان من جنسه واجب لزم الوفاء به عند مالك وأبى حنيفة وجماعة . وذكر النووى فى شرح مسلم أنه أجمع المسلمون على صحة النذر ووجوب الوفاء به إذا كان الملتزم طاعة ، فإن كان معصية أو مباحاً كدخول السوق لم ينعقد النذر ولا كفارة عليه عندنا ، وبه قال جمهور العلماء .

بقى على أن أذكر لمن نذر نذراً فى مكان معين ، هل عليه تأديته فى المكان الذى عينه أو لا يلزم ذلك ؟ وفى هذا يروى عن ثابت

بن الضحاك قال : « نذر رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن ينحر إبلا ببوانة (موضع بالشام) ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله ، فقال : هل كان فيها وثن يعبد ؟ قال : لا ، قال : فهل كان فيها عيد من أعيادهم ؟ فقال : لا ، فقال : أوف بنذرك فإنه لا وفاء لنذر فى معصية الله تعالى ، ولا فى قطيعة رحم ، ولا فيما لا يملك ابن آدم » . قال العلماء : ويعارض هذا الحديث حديث النهى عن شد الرحال ، والحديث الذى رواه جابر « أن رجلا قال يوم الفتح : يارسول الله : إنى نذرت إن فتح الله عليك مكة أن أصلى فى بيت المقدس . فقال : صل هاهنا ، فسأله ، فقال : صل ها هنا ، فسأله فقال : شأنك إذا » وهو دليل على أن المكان لا يتعين فى النذر .

وبعد : فها أنت أيها القارىء الكريم قد رأيت أن بعض العلماء يرى وجوب الوفاء بالنذر مادام فى طاعة الله تعالى ، وأنه لا يكفى فى التحلل منه كفارة يمين . وقد مر بك قول النبى صلى الله عليه وسلم : « كفارة النذر كفارة يمين » . وكذا ما روى عن عائشة وعمر وابن عمر وأم سلمه فى أن كفارة النذر كفارة يمين . وقد حمله جماعة من فقهاء الحديث على جميع أنواع النذر . وقالوا هو مخير فى جميع المنذورات بين الوفاء بما التزم وبين كفارة يمين . ذكره النووى فى شرح مسلم ، وهو الذى دل عليه قول النبى صلى الله عليه

وسلم « كفارة النذر كفارة يمين » .

وينبغى أن لا ننسى أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن النذر وقال « إنه لا يأتى بخير » رزقنا الله الإخلاص فى القول والعمل ، وألهمنا السداد والرشاد .

عذاب القبر

نرى فى هذا الزمان أقواماً ركبوا رءوسهم واتبعوا أهواءهم ، ينكرون كثيراً من السمعيات (هى الأمور الغيبية كالحساب والصراط والميزان ، وعذاب القبر) . فمن ذلك قولهم : إنه لا دليل على أن العصاة يعذبون فى قبورهم ، ويطالبونك بأن تأتيهم بآية من القرآن أو حديث عن النبى عليه الصلاة والسلام يدل على عذاب القبر . وهأنا ذا كر لهؤلاء الدليل الكافى المقنع لإثبات ذلك من القرآن والسنة ، والله الموفق للصواب :

يقول الله تعالى فى آل فرعون « النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ، ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب » . فهذه الآية تبين أن آل فرعون يعرضون على النار فى قبورهم غدواً وعشياً ، بدليل قوله سبحانه بعد ذلك « ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب » فالعرض فى القبر ، والدخول يوم القيامة .

وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« العبد إذا وضع فى قبره وتولى وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم ، أتاه ملكان فأقعداه ، فيقولان له : ما كنت تقول فى هذا الرجل محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له : أنظر إلى مقعدك من النار ، أبدلك الله به مقعداً من الجنة. قال النبي صلى الله عليه وسلم فيراهما جميعاً . وأما الكافر أو المنافق فيقول : لا أدرى ، كنت أقول ما يقول الناس . فيقال : لادريت ولا تليت ! ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه ، فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين » رواه البخارى . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « استنزهوا من البول فإن عامة عذاب القبر منه » . رواه الدارقطنى . والحديث صريح فى أن من لم يتنزه من بوله (أى يتطهر منه بحيث لا يبقى حين يشرع فى الوضوء له أثر) تعجل له عقوبة ذلك فى القبر . وفى رواية للحاكم من حديث أبى هريرة « أكثر عذاب القبر من البول » . وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم « أنه مر بقبرين يعذبان ، فقال : إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير : أما أحدهما فكان لا يستتر من البول ، وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة » ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين ، ثم غرز فى كل قبر واحدة . فقالوا : يا رسول الله : لم صنعت هذا ! فقال : لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا » . رواه البخارى .

وما قدمناه يدل دلالة لا يشك فيها إلا من لا دين له، على صحة عذاب القبر ، وعلى أن من لا يتنزه من بوله يقع به هذا العذاب . والبول فضلة قذرة نجسة لو بقى فى الجسم لأضر المرء ضرراً بليغاً ، بل كثيراً ما يقضى على حياة الإنسان إذا تعسر خروجه . وقد يكون البول محملا بجراثيم الأمراض الفتاكة مثل (الانكلستوما والبلهارسيا) ، فاذا لم يقطع المتبول بوله ، ويتطهر بالماء أوالطوب، أضر بنفسه . حيث تنتقل تلك الجراثيم بواسطة ثقب الجلد إلى الموضع السليم من الجسم وتعمل عملها القتال ، وأضر بغيره بنقل العدوى اليه ؛ وملعون من ضار مسلماً .

ومن ذلك تعلم أن يتغوط أو يبول فى طريق الناس ، أو فى ماء الترع والآبار ، أو فى موضع جلوسهم — إنما يرتكب أمراً عظيما ، وذنباً جسيما . وقد ورد لعن من يفعل ذلك على لسان المعصوم صلى الله عليه وسلم : أخرج البيهقى وغيره من حديث أبى هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من سل سخيمته على طريق من طرق المسلمين فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » . والسخيمة العذرة . وعن معاذ عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « اتقوا الملا عن الثلاثة . البراز فى الموارد ، وقارعة الطريق ، والظل » ومعنى الحديث : إبتعدوا عن إتيان الأمور الثلاثة الجالبة لعن فاعلها « وهى التغوط فى موارد الماء ، وطريق

الناس ، والظل الذى يتخذه بعض الناس مقيلا يستريحون فيه . وقد ورد النهى عن قضاء الحاجة تحت الشجر المثمر ، وجانب النهر الجارى . فليتق الله كل مسلم ولا يؤذ عباد الله ، فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم «من آذى المسلمين فى طرقهم وجبت عليه لعنتهم : بل إيذاء أى إنسان، ظلم والله لا يحب الظالمين .

اتق دعوة المظلوم

جاء فى صحيح الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » .

والظلم نوعان : ظلم المرء لنفسه ، وظلمه لغيره . فظلمه لنفسه بارتكاب ماحرم الله ، فيعرضها لعقاب الله ،ويحرمها من النعيم الخالد الأبدى « وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون ».وظلمه لغيره يكون بأكل أموال الناس بالباطل ، أو القدح فى أعراضهم ، أو النظر إلى نسائهم ، أو التعدى على أرضهم « نقل الحد » أو اتهام الأبرياء . وقد روى الامام مسلم عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة». والمظلوم ينصره الله على أعدائه ، ويجيب له دعاه ، ودعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب ، يرفعها الله فوق السحاب ويقول : وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين . وعن عروة بن الزبير

أن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضى الله عنه ، خاصمته أروى بنت أوس إلى مروان بن الحكم وادعت أنه أخذ شيئاً من أرضها ، فقال سعيد . أأنا آخذ من أرضها شيئاً بعد الذى سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال مروان : ماذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من أخذ شبراً من الأرض ظلما طوقه الله إلى سبع أرضين » ، فقال له مروان : لاأسألك بينة بعد هذا . فقال سعيد: اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها واقتلها فى أرضها . قال عروة : فما ماتت حتى ذهب بصرها ، وبينما هى تمشى فى أرضها إذ وقعت فى حفرة فماتت . رواه البخارى ومسلم .

وهكذا يجيب الله دعاء من أطاعه وخشى عقابه « ولا تحسبن الله غافلاعما يعمل الظالمون، إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار، مهطعين مقنعى رءوسهم لا يرتد اليهم طرفهم ، وأفئدتهم هواء » :

فالعاقل من يجتنب الظلم ، ويبتعد عن الظالمين ، وإن كان ظلم أحداً فليطلب منه السماح ، وليرد له مظلمته . فعن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من كانت له مظلمة لأخيه من عرض أوشىء فليتحلله منه اليوم قبل ألا يكون دينار ولا درهم ؛ إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه». وبعض الناس

يروى قول الرسول صلى الله عليه وسلم «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» وتأخذه العزة بالإثم، فيعين أقاربه الظالمين، فإذا ما لمته فى هذا يروى لك الحديث المتقدم، ولو قرأ الحديث إلى نهايته لفهم مراد الرسول صلى الله عليه وسلم؛ ونص الحديث عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «انصر أخاك ظالما أو مظلوما. قالوا: يا رسول الله هذا ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالماً؟ قال: تأخذ فوق «يديه. ومعنى ذلك أن نصرك للظالم أن تمنعه عن الظلم «ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار» وقانا الله شر الظلم والظالمين.

وإنى أسوق حديثاً رواه البخارى ومسلم، يبين سرعة إجابة الله لدعوة المظلوم، وأنها أسرع من السهم فى الإصابة:

فعن جابر بن سمرة رضى الله عنهما قال: شكا أهل الكوفة سعداً — يعنى ابن أبى وقاص رضى الله عنه — إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وكان قد استعمل عليهم عماراً، فشكوا، حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلى. فأرسل إليه، فقال: يا أبا إسحاق إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلى. فقال: أما أنا والله فإنى كنت أصلى بهم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أخرم عنها (أى لا أحيد عنها فلا أنقص ولا أزيد): أصلى صلاة العشاء فأركد فى الأوليين (أطيل) وأخف فى الأخريين. قال: ذلك الظن بك يا أبا إسحاق؛ وأرسل معه رجلا أو رجالا إلى الكوفة يسأل عنه أهل الكوفة، فلم يدع مسجداً

إلا سأل عنه ، ويثنون معروفا ، حتى دخل (أى السائل) مسجداً لبنى عبس ، فقام رجل منهم يقال له أسامة بن قتادة — يكنى أبا سعدة — فقال : أما إذ نشدتنا (أى طلبت منا أن نقرر الحق) فإن سعداً كان لا يسير بالسرية ، ولا يقسم بالسوية ، ولا يعدل فى القضية ! .

قال سعد: أما والله لأدعون بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذباً قام رياء وسمعة فأطل عمره ، وأطل فقره ، وعرضه للفتن ! .

قال عبد الملك بن عمير الراوى عن جابر بن سمرة: فأنا رأيته بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر ، وإنه ليتعرض للجوارى فى الطرق فيغمزهن . وكان إذا سئل يقول : شيخ كبير مفتون أصابتنى دعوة سعد : .

الظالم والمظلوم

بين يدى الحكم العدل

يصور الحديث الآتى مهانة الظالم ، وهوانه وذله وإذلاله بين يدى الله ، حين يأخذ المظلوم بتلابيبه ويوقفه صاغراً أمام قاضى الأرض والسماء ، لا يستطيع الدفاع عن نفسه ، ولا يجد من يدافع عنه . وينبغى أن يعلم أن هذا فى ظالم قد تاب وأناب قبل موته ، ولكنه لم يستطع رد المظالم إلى أربابها ، فيقف هذا الموقف الذى

تنخلع له القلوب ، وتطير من هوله الأفئدة . والحديث رواه البيهقى عن أنس قال : « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ رأيناه ضحك حتي بدت ثناياه ، فقال له عمر : ما أضحكك يارسول الله بأبي أنت وأمى ؟! فقال : رجلان من أمتى جثيا بين يدى رب العزة ، فقال أحدهما : يارب خذ مظلمتى من أخى ، فقال الله : كيف تصنع بأخيك ولم يبق من حسناته شيء ؟ قال : يارب فيحمل من أوزارى ! وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء ، ثم قال : إن ذلك اليوم ليوم عظيم يحتاج الناس أن يحمل عنهم من أوزارهم ! فقال الله للطالب : ارفع بصرك فانظر ، فرفع بصره ، فقال : يارب أرى مدائن من ذهب ، وقصوراً من ذهب ، مكللة باللؤلؤ ، فيقول لأى نبى هذا ؟ لأى صديق هذا ؟ لأى شهيد هذا ؟ قال الله : هو لمن أعطى الثمن ، فقال : يارب ومن يملك ذلك ؟ قال : أنت تملك ذلك . قال : بماذا ؟ قال : بعفوك عن أخيك . قال . يارب فإنى قد عفوت عنه . قال الله تعالى . فخذ بيد أخيك وأدخله الجنة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك . اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله يصلح بين المسلمين » .

الاسلام و بدعة الاغتيال

لله سبحانه فى مملكته نظامه ، وله حكمته وأحكامه ، أراد لها العمران ، فخلق فيها بنى الإنسان ، وأمرهم بالتعاون على البر والتقوى ، ونهاهم عن التعاون على الإثم والعدوان ، ليؤدوا رسالتهم الإنسانية فى هذا الكون على مقتضى مايليق بهم كذوى عقول وأسماع وأبصار ، يدركون بها سر الحياة ، وقيمة الوجود وحقيقة العمل .

رسم للناس طريق الخير ، وهيأ لهم سبيل التوفيق ، وحذرهم مما يعود على أفرادهم ومجتمعهم بالأذى والضرر ، مما ينغص عليهم الحياة ويكدر صفو العيش ، ويباعد مابين القلوب كى يسير العالم قدما فى سبيل الحياة الصحيحة ، لامًّا أطرافه ، مستجمعاً قواه ، هادفا إلى أطيب العواقب وأشرف الغايات .

إننا بحمد الله ديننا الإسلام ، والإسلام معناه مفهوم من لفظه ، ومعروف من سيرة أهله .

ولقد كان عقلاء الأمة المصرية الإسلامية ، يشفقون على أفرادنا وجماعاتنا مما رمتنا به بعض الأمم من علل وأمراض لم تألفها الأمة ولا الأفراد ، ولم يقرها الإسلام ، حتى ظهرت فينا أخيراً تلك البدعة الممقوتة النكراء . بدعة القتل والاغتيال ، فانخلعت منها القلوب ، وأحسسنا الخطر الداهم ، وتوقعنا الشر المستطير ، ما لم يفىء أولئك اللاعبون بالنار ومستقبل الأمة إلى عقولهم ، ويرجعوا عن غيهم .

ألا إنهم ليأتون شر أنواع الاعتداء بهدم ماسوى الله بيديه ،وإلحاق الفناء بمن لهم حق الحياة التى هيأها الله لهم .

إن جريمة القتل جريمة لايعادلها فى الذنوب سوى الشرك بالله . وهل يوجد مؤمن يفكر فى قتل إنسان بعد مايسمع قول النبي الكريم « لزوال الدنيا وما فيها أهون عند الله تعالى من قتل مؤمن! ولو أن أهل سمواته وأهل أرضه اشتركوا فى دم مؤمن لأدخلهم الله النار » وعن ابن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أعان على دم أمرىء مسلم بشطر كلمة كتب بين عينيه يوم القيامة : آيس من رحمة الله ! » وروى عن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه سأل سائل فقال يا بن عباس : هل للقاتل توبة ؟ فقال له ابن عباس كالمتعجب من مسألته : ماذا تقول ! مرتين او ثلاثا — ثم قال ابن عباس : ويحك وأنى له توبة ؟ ! سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « يأتى المقتول معلقاً رأسه بإحدى يديه ، متلبباً قاتله بيده الأخرى ،فيقول الله تعالى للقاتل : تعست : ويذهب به إلى النار » .

إن أول جريمة على وجه الأرض اهتزت لها جنبات الكون هى قتل أحد أولاد آدم أخاه ، وقد حكى القرآن العظيم هذه الفعلة الشنعاء . فصور اللين والتسامح فى جانب المقتول ، والقسوة والفظاظة فى جانب القاتل — قال لأقتلنك ؟ فأجابه المقتول

فى وداعة المؤمن وتسامح الكريم « لئن بسطت إلى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك ، إنى أخاف الله رب العالمين . إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار ، وذلك جزاء الظالمين . فطوعت له نفسه قتل أخيه ، فقتله ، فأصبح من الخاسرين » .

إن أول حادث فتح باب الفتنة على مصراعيه فى الإسلام ، وفرق بين المسلمين ومزق وحدتهم ، وأضعف قوتهم — هو قتل الإمام العادل عمر بن الخطاب، لم يقتله مسلم، لأن دينه يمنعه إرتكاب هذه الجريمة المنكرة ، بل قتله رجل مجوسى هو أبو لؤلؤة ، غلام المغيرة ، بتدبير سيء ، من رجل موتور ، وذى سلطان مخلوع ، هو الهرمزان ، وإن عمر العظيم حين طعن سأل من حوله : هل اشترك أحد من المسلمين فى قتله؟ فأجابوه: كلا يأمير المؤمنين. فقال عمر : الحمد لله الذى عصم أمة محمد أن يشترك أحد منهم فى قتل عمر ؟ .

وإنما سأل رضى الله عنه عن ذلك لعلمه أن بعض صغار الأحلام قد يكون لهم رأى فى الحكام يدخل عليهم من تأويل فاسد لا يقرهم عليه الإسلام ، الذى حث على استتاب الأمن والنظام .

فأراد عمر تذكير المسلمين بمثل قول النبى صلى الله عليه وسلم « من كره من أميره شيئاً فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية » .

وفى حديث عن أبى هنيدة وائل بن حجر قال « سأل سلمة بن يزيد الجعفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يانبى الله أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألوننا حقهم ويمنعوننا حقنا فما تأمرنا ؟ فأعرض عنه . ثم سأله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اسمعوا وأطيعوا فانما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم » .

هذا أيها المسلمون حكم الله ورسوله ؛ فلا يظلمن الإسلام ظالم بالاعتداء على الناس باسمه ، فإنما هو سلم وسلام وتسليم ، فى حدود بينة ، وقواعد مرسومة ، فلا تعرضوا أنفسكم للضياع والفشل ، وبلادكم للفوضى والإضطراب ، وخافوا يوماً يجعل الولدان شيباً .

لا أدرى ما ذنب الأسر تنكب بفقد عائلها الذى كان الأمل المرجىّ ، والعمادَ الذى عليه بعد الله تعالى المعوَّل ؟ سلوا اليتامى والأرامل والثاكلات ، تعرفوا شناعة الجرم ، وعظم المصيبة . ليت شعرى كيف يكون الجواب ؟ . ثم ماذا جنى أهل الجناة يتعرضون للنكبات والهموم والأحزان على أيدى أحب الناس إليهم من صغار العقول سفهاء الأحلام ، أولئك الذين يتركون لخيالات أهليهم كيف تكون عقبى أولئك الأغرار جزاء ما أقدموا عليه من إعتداء أثيم وإجرام شنيع ! وإنى لتعروني من الهول هزة كلما تصورت أن أولئك الأغرار الذين ينفخ الشيطان فيهم حتى

يأتوا فعلتهم الشنعاء سيقعون فى شر الأسى والندم، حين تطبق عليهم أيدى العدالة، فتخور منهم القوى، وتتحلل العزائم والأعصاب، وتطيش الأحلام وهم فى مقتبل الحياة وزهرة الصبا، فتنطفىء مصابيحهم، وتذبل زهراتهم، وقد كانوا لدى الأهل والأمة بين الجفون وطيات الجوانح، تضىء بهم الحياة، وتشرق الأيام، فأصبحوا فى عداد المجرمين، ينتظرون شر المصائب، وأخوف العواقب، مشيعين بالسخط والإزدراء، على حين كان أمامهم من ميادين المجد والعظمة ما يخلد لهم أطيب الذكر وأشرف الأثر.

يا شباب. إليكم نصيحة خالصة لوجه الله: أنتم عدة الأمة ورجاؤها وأملها. فتسلحوا ليومكم بالعلم والعرفان والمحبة، كى تكونوا جنوداً صالحين، تؤدون رسالة الإصلاح والعمران، حين يهىء لكم الوطن ميادين العمل، ويبوئكم مقاعد الجد والنشاط. هناك تتجهون بكل قواكم وتفكيركم وتجربتكم إلى ما يعلى شأن الوطن ويرفع صرحه ويدعم بنيانه. وهنالك تكون التضحية بكل ما يطلب الوطن منكم من نفس ومال وبنين. أما أن تقضوا على أنفسكم والعاملين لصالحكم من أهل وطنكم فذلك هو الإفلاس والانتحار، والعمل ضد الوطن، وتهيئة الجو للأعداء، وهو ما أعيذكم بالله منه، وأرجو ألا يكون له أثر بينكم، كى يصفو الجو، وتطمئن القلوب، وتستقيم الأمور، ويكبت الأعداء،

وتنتهى بنا الحال إلى أشرف المقاصد وأفضل الغايات .

هذه كلمة فى الإغتيال وأثره السيء ، وعاقبته الوخيمة .

وإلى القراء كلمة فى الجرائم الفاشية فى المدن والقرى تحت عنوان :

القاتل والمقتول فى النار

عجب أن يقدم إنسان ، رزقه الله عقلا وفهما ، على قتل أخيه الإنسان وإزهاق روحه مهما كان السبب الحامل على ذلك ، ألا يعلم القاتل أنه إن ضبط متلبساً بجريمته سيق إلى ساحة الإعدام ، وإن لم يقبض عليه فى هذه الحياة الدنيا فأين يكون المفر يوم القيامة من عقاب الملك العلام . ألا يعلم القاتل أن الجنة محرمة عليه ، وأنه ملعون ومطرود من رحمة الله ، وأنه يأتى يوم القيامه مكتوباً بين عينية : آيس من رحمة الله ، وصدق الله العظيم فى قوله « من قتل نفساً بغير نفس أوفساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً » وعن ابن عباس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة : ناصيته ورأسه بيده ، وأوداجه تشخب دماً ، يقول : يارب سل هذا فيما قتلنى . فذكروا لابن عباس التوبة ، فتلا هذه الآية « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها ، وغضب الله عليه ،

ولعنه . وأعد له عذاباً عظيما ، ثم قال : ما نسخت هذه الآية ولا بدلت وأنى له التوبة . قال الترمذى : هذا حديث حسن .

هذا كلام ابن عباس ، وله وجاهته ، وإن كان الذى عليه الجمهور أن التوبة مطلوبة من كل ذنب وإن كان القتل ، بدليل آية الفرقان « إلا من تاب وآمن » وقد ذكرت بعد جرائم كثيرة ومنها القتل .

وفى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنه « من ورطات الأمور التى لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله » . وعن أبى بكرة بن نفيع بن الحارث الثقفى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار » قلت : يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال « إنه كان حريصاً على قتل صاحبه » رواه البخارى ومسلم . وهذا الحديث يبين أن القاتل والمقتول فى المعارك والمشاجرات التى تحدث فى البلاد كلاهما فى النار ، وذلك لأن القاتل سفك دم أخيه ظلماً وعدواناً ، والمقتول دخل المعركة ليقتل غيره أو يتلف عضواً من أعضائه ، فالاثنان قصدهما الشر ، فلا عجب أن يكون مصيرهما النار ، وبئس القرار .

وينبغى لكل عاقل أن يلزم بيته فى مثل حوادث المشاجرات ويمنع أولاده الخروج من البيت . وخير الناس من وقى الناس شره .

ولا توجد جريمة بعد الكفر ، توجب سخط الله وغضبه ، وتحل نقمته ، وتخلد صاحبها فى النار ، سوى القتل ظلما وبغيا . وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم « لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق » .

ومن أفحش الجرائم ، وأقبح الفعال ، وأحط الخصال تقليع الزرع وسم الحيوان .

ألا يعلم فاعل ذلك أن الذى أنبت الزرع مطلع ، وأنه سبحانه جعله قوت عباده ومعاش خلقه ، وأن مرتكب ذلك إنما يحارب ربه ويغضب نبيه ، وأن من حارب مولاه وأغضب رسوله يكون فى الدنيا من الفاسقين وفى الآخرة من الهالكين . أما ذلك الذى يسم الحيوان إنتقاماً من أخيه الإنسان فقولوا له : ما ذنب هذا الحيوان الذى لا يعرف ما تقدمه إليه ، وما الذى ارتكبه فى حقك حتى تسقيه سما يقطع أمعاءه ويذيقه ألوان العذاب ، أما تخشى يا فاعل ذلك يوما يجعل الولدان شيبا ، يوم تسقى بدل السم ناراً تشوى الوجوه ، وتنخلع من هولها القلوب وتتفتت لها الأفئدة ، وما ربك بغافل .

إن الجرائم بأنواعها : من قتل النفوس ، وتقليع الزروع ، والسرقات . وترويع الناس — تحدث إضطرابا فى أمن البلاد ، وتوجد القلق فى النفوس ؛ وإنما :

فى ظلال الأمن تسعد البلاد

إن من نعم الله العظمى فى هذا الوجود نعمة الأمن ففى ظلاله يأمن الناس على أنفسهم وأموالهم ، وفى رحابه ينصرفون إلى شئونهم ومصالحهم فى غير خوف ولا ذعر ، وفى اشتمال الأمن تؤدى الأعمال ، وتحقق الآمال ، ويسود النظام ، وتسعد الأمة ، وتعم الطمأنينة النفوس . فالأمن ضرورى للناس كضرورة الطعام والعافية للأبدان . ولعظم شأن الأمن فى إسعاد الأفراد والجماعات ، منّ الله به . وجعله عديلا للطعام الذى تدفع به ثورة الجوع ، فقال سبحانه « الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » . ويقول سبحانه « أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف من حولهم » وصدق الله العظيم ؛ فالطعام إن كان غذاء للأجسام ، فالأمن حصن للأشباح والأرواح . وما أجل قول النبى الكريم فى التذكير بنعمة الأمن « إذا أصبحت آمناً فى سربك ، معافى فى بدنك ، عندك قوت يومك ، فعلى الدنيا العفاء » . فهو صلوات الله وسلامه عليه ، لم يجعل نعمة الأمن مقارنة لنعمتى الطعام والعافية ، بل اعتنى بها وبدأ بها ومن تتبع آى القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وجد العناية البالغة بالأمن واستتبابه .

فواجب على الأمة ، حكومة وشعباً ، جماعات وأفراداً ، أن تقدر نعمة الأمن والأمان ، وألا تدخر وسعاً فى المحافظة عليه .

وأن تتضافر الجهود ، وتشدد الرقابة فى رصد كل من تحدثه نفسه أو توسوس له شياطين الإنس والجن ، فينسلخ من الإنسانية الرحيمة إلى الوحشية الرجيمة ، فيزعزع بناء الأمن ، وينشر أراجيف الخوف والفزع ، ثم ينطلق كالوحش الضارى ، تقوده غرائز الشر وتخونه دوافع الخير ، فيكون كما قال الله تعالى « وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد » . فتراه لا يرعوى عن جريمة ، ولا يترفع عن الدنايا ، لا تأخذه رأفة ، ولا يحس ضميره بوخزة ، ينفذ مراد شيطانه وهواه ، وإن أذى الأمة والخلق وأغضب الله . هذا وأمثاله أعداء الإنسانية ، وخصوم جميع الديانات السماوية .

وقد جعل الله عقوبة من ينشرون الفزع بين الناس ويهددون أمنهم من أقسى العقوبات التى تنخلع لها القلوب ، وتطير من هولها الأفئدة ، فقال سبحانه : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ، ويسعون فى الأرض فساداً ، أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، أو ينفوا من الأرض ؛ ذلك لهم خزى فى الدنيا ، ولهم فى الآخرة عذاب عظيم »

ولا يكفى لحفظ الأمن أن نأخذ بالجريمة من أوقعها فحسب ، بل يجب علينا أن نستأصل شأفة هذا الداء الوبيل : بأخذ المحرك لهذا الآثم ، المدبر له وسائل الشقاء فى طى الكتمان والخفاء ، ذلك

لأن المدبر للشر شريك لفاعله ، بل على المدبر تقع المسئولية الكبرى فى هذه الشركة الخاسرة . فإن الجانى بطيشه كآلة يحركها هذا المدبر بإرادته ، بل ربما كان الجانى غافلا وما نبهه إلى الشر إلا هذا المدبر الاثيم « ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا » . ألا فليعلم هؤلاء المدبرون أنهم إن أفلتوا من عقوبة القوانين الوضعية ، فهم واقعون تحت عقاب من لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء .

الحلم والغضب

الحلم : ضبط النفس ، وكظم الغيظ ؛ وإن شئت قل هو ترك السفه ، فلا تبدأ به ، ولا تجاوب عليه . ويتبين الحلم ببيان مضارضده (الغضب) ، وهو ثوران النفس ، وتوقد حرارة القلب ، بغية الانتقام والتشفى . فغذاء الغضب ولذته التى لا يسكن إلا بها : الانتقام .

وكم يجر الغضب من المآسى والفواجع على الأسر والعائلات ، بل كم يمزق من الروابط الوثيقة والعلاقات العريقة ؛ فبسببه يفارق الأخ أخاه ، والولد أباه ، وتحرم الزوجة من أولادها وحنان بعلها ؛ بل رب غضبة هددت سلم العالم وقضت على المدنية والحضارة . فالغضب مفتاح الشرور والآثام ، وبريد التفرق والانقسام ؛ به يستدل على ضعف العقل وخطل الرأى ، وسوء التدبير ، ووهن الدين . فهو سمة الحمق ، ونعت الأراذل .

وليست قوة الرجال فى البطش والقهر ؛ إنما القوة الحقيقية فى ملك زمام النفس عند هيجان الغضب ؛ ففى الحديث « ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب .

فالقوى من الناس من يستعمل عقله ، ويحزم رأيه ويضبط نفسه عند الغضب ، فلا يجعل سبيلا عليه للشيطان ، فإن الغضب منه ؛ فعن معاوية بن قرة قال : قال إبليس أنا : جمرة فى جوف ابن آدم ، إذا غضب حميته ، وإذا رضى منيته

وللغضب آثار سيئة ضارة :

١ — انطلاق اللسان بالشتم والسب ، ولا يرضى بهذا صاحب العقل والدين .

إذا أنت جاريت السفيه كما جرى
فأنت سفيه مثله غير ذى حلم

٢ — تغير اللون واضطراب الحركة والكلام .

٣ — ترى المتصف به إن لم ينل مراده من خصمه بالانتقام منه ، عاد على ملابسه فمزقها ، وعلى نفسه بالضرب ، وربما شفى غيظه بإيذاء أهله وإهانة أولاده ، وقد يصل به الغضب إلى أن يصب جام سخطه على دابته . فعل هو إلى الجنون أقرب ! .

روى أبو هريرة رضى الله عنه أن رجلا قال : يارسول مرنى بعمل وأقلل ، قال : « لا تغضب » ثم أعاد عليه ، فقال : « لاتغضب » ! .

وكظم الغيظ وقوة ضبط النفس دأب من يرجون رضوان الله، ويخافون عذابه ، ويخشون عقابه ؛ ففى الخبر : « من كف غضبه كف الله عنه عذابه ، ومن اعتذر إلى ربه قبل الله عذره ، ومن خزن لسانه ستر الله عورته » .

وفى الحديث أيضاً : « من كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه لأمضاه، ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً » .

ومن يتصفح تاريخ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يرى أنه لم ينتقم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمات الله فينتقم لله، بل إن المشركين لما كسروا رباعيته وشجوا وجهه الشريف فى غزوة أحد ، طلب منه أصحابه أن يدعو عليهم ، فقال « اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون». وليس هذا بالعجيب ممن نزل عليه « ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » .

ولما نزل عليه قول الله تعالى « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » قال : ماهذا ياجبريل ؟ قال : « تصل من قطعك ، وتعطى من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك » .

وكان هذا دأبه عليه السلام ، وقد انطبعت مرآة نفسه الصافية على كل من عاشره وخالطه من أهله وأصحابه ، بل تعدى ذلك إلى كل من اهتدى بهديه واعتصم بحبله .

فهذه السيدة عائشة رضى الله عنها اغتاظت على خادم لها ثم رجعت إلى نفسها فقالت « لله درُّ التقوى ، ماتركت لذى غيظ شفاء » !

وهذا أبو ها الصديق رضى الله عنه وقد شتمه رجل وهو ساكت ، ورسول الله موجود ، فلما ابتدأ أن ينتصر منه قام رسول الله صلى عليه وسلم ، فقال : أبو بكر : إنك كنت ساكتاً لما شتمنى ، فلما تكلمت قمت قال لأن الملك كان يجيب عنك فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان ، فلم أكن لأجلس فى مجلس فيه شيطان » !

فبمثل هذه الآداب العالية أدب النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه ، وعلمهم كيف يكون ضبط النفس والتحلى بالحلم ، حتى بلغ الأمر ببعضهم أن يقول : ليس عندى صدقة أتصدق بها ، فأيما رجل أصاب من عرضى شيئاً فهو عليه صدقة . فأوحى الله تعالى إلى النبى صلى الله عليه وسلم « انى قد غفرت له » . وفى بعض الصحف الأولى : أن عيسى عليه السلام مر على قوم من بنى اسرائيل فقالوا شراً ، فقال لهم خيراً . فقيل له يقولون شراً وأنت تقول خيراً ؟ فقال « كل ينفق مما عنده » .

وشتم رجل سلمان ، فقال : « إن خفت موازينى فأنا شر مما تقول ، وإن ثقلت موازينى لم يضرنى ما تقول » وسب رجل الشعبى ، فقال « ان كنت صادقاً فغفر الله لى ، وان كنت كاذباً فغفر الله لك » .

ولا تحسب أن الحلم محمود فى كل حال ، فهناك غضب يحبه الله ورسوله ، ويعطى عليه جزيل الثواب وعظيم الأجر .

فان رأيت حدود الله تنتهك ، وأوامره تهدر ، فاغضب ما وسعك الغضب ، وأمر بالمعروف وانه عن المنكر ، واصبر على ما أصابك .

واعلم أخى وفقك الله أن أول عوض الحليم عن حلمه أن الناس أنصاره ، وفى الأثر « من حلم ساد ، ومن تفهم ازداد » وفى حديث آخر « ان الله يحب الحليم الحيي ، ويبغض الفاحش البذى » . ومن حكم المتقدمين : من غرس شجرة الحلم اجتنى ثمرة السلم . وحكى عن الأحنف بن قيس أنه قال « ماعادانى أحد قط الا أخذت فى أمره باحدى ثلاثة خصال : ان كان أعلى منى عرفت له قدره ، وان كان دونى رفعت قدرى عنه ، وان كان نظيرى تفضلت عليه »

ويعجبنى قول الشاعر :

أحب مكارم الأخلاق جهدى
وأكره أن أعيب وأن أعابا
وأصفح عن سباب الناس حلماً
وشر الناس من يهوى السبابا
ومن هاب الرجال تهيبوه
ومن حقر الرجال فلن يهابا

وبعد : فان كان لك فى رسول أسوة ، وفى أصحابه قدوة ، فهذا سبيلهم : « أشداء على الكفار رحماء بينهم : فسر سيرهم ، وانهج نهجهم ، تكن كريماً ، وليس من عادة الكرام سرعة الانتقام .

إن الكريم إذا تمكن من أذى جاءته أخلاق الكرام فأقلعا
وترى اللئيم إذا تمكن من أذى يطغى فلا يبقى لصلح موضعا

المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده

هذه كلمة جامعة ، رواها البخارى ومسلم ، لمن أوتى جوامع الكلم صلى الله عليه وسلم : يعرب بها عن المسلم الجدير بلقب الإسلام ، وأنه ليس من أجاب مندوب التعداد بأنه مسلم مع كونه يعيش فى الأرض مفسداً .

وما الإسلام إلا ذلك المبدأ الأسمى : مبدأ إنكار الذات ، وإسلام المرء ذاته لبارئها طائعة . وخضوعه وانقياده فيما يأتى ويذر مخلصاً للغالب على أمره ، عالم الغيب والشهادة « ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى ، وإلى الله عاقبة الأمور » .

فالمسلم إنسان أسلم نفسه الى واجبها الذى خلقت له ، ليس لغير الحق سلطان على نفسه ؛ إن دعاه الهوى عصاه أبيا غير مستكين ، واذا دعاه داعى الحق وجد طيعا مليبا لا يعدو الحق ، ولسان حاله يردد قولة معن بن أوس :

لعَمْرك ماأهويت كفى لريبة ولا حملتنى نحو فاحشة رجلى
ولا قادنى سمعى ولا بصرى لها ولا دلنى رأيى عليها ولا عقلى
ولست بماش ما حييت لمنكر من الأمر لا يمشى الى مثله مثلى

فليس كل من ادعى الإسلام صادقاً حتى يصدقه آيات من جوارحه ، ويؤيده دلائل من أعماله وحسن حاله . فالمسلم الصادق حلو اللسان لا يصدر منه إلا الخير ؛ طاهر اليد والرجل والعين والاذن ، لا يؤذى أحدا ببصره أو سمعه أو صوته أو رجله أو لسانه أو يده ، كله سلم للناس ، ومصدر نفع وخير ، قد اهتدى بهدى النبى صلى الله عليه وسلم ، فعنده « كل المسلم على المسلم حرام : دمه ، وماله ، وعرضه » .

فمن آيات المسلم الحقيقى سلامة المسلمين من أعضائه جميعاً . وتخصيص اليد واللسان بالذكر — فى القول النبوى — لأن أكثر الإيذاء بهما ، بل من آياته سلامة كل من لم يحاربنا فى ديننا ولا فى أوطاننا منه ، لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ، إن الله يحب المقسطين » ، وقد روى أبو داود أنه صلى الله عليه وسلم قال : « ألا من ظلم معاهدا أو تنقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا خصمه يوم القيامة » . وانما خص صلوات الله وسلامه عليه المسلمين بالذكر ، لأن حرمتهم فوق حرمة غيرهم .

فالمسلم الجدير بلقب الإسلام لا يأمر بمنكر ، ولا ينهى عن معروف، ولا يدعو إلى التهاون فى الواجبات أو ارتكاب المحرمات ، ولا يروج للأباطيل ، ولا للمذاهب الهدامة المبيدة ، ولا يطلق لسانه بالطعن فى أعراض الناس أو الكذب فى تحديثهم أو الإفساد بينهم أو الإساءة اليهم ، ولا يشهد زوراً ، ولا يقفو ماليس له به علم ، ولا يقرظ من لا يستحق ، ولا يغرر بأحد ولا يسخر من أحد ، ولا يغتاب ولا ينم ، ولا يلعن ولا يسب ، ولا يقتل ولا يسلب ، ولا يظلم ولا يغصب ، ولا يخط باطلا ، ولا يؤذى بريئاً ، ولا يكتب فى ثلم عرض أو الحط من كرامة ، ولا يضلل ولا يغش فهو لا يبيح لنفسه التفكه — محاكياً الغربيين — بحياكة كذبة فى إبريل ، قد يكون من ورائها ما يبكى ويدمى ، ولا يشفع معيناً على ظلم ، ولا يحكم ناطقاً أو كاتباً بغير العدل ، ولا يقطع زرعا ، ولا يسم حيوانا ، ولا يقطع حداً ، بل هو ملك كريم ، فى صورة إنسان رحيم حليم ، لا يغلبه الغضب ، ولا تجمح به الحمية فيطلق لسانه ويده شاتما وضاربا متعرضا للأذى والهوان ، بل يغفر إذا ظلم ، ويعفو عن الجاهل ، يسمع الشتم والتأثيم فيقول لنفسه قول الحكيم :

يخاطبنى السفيه بكل قبح وأكره أن أكون له مجيبا
يزيد سفاهة وأزيد حلما كعود زاده الإحراق طيبا

يقى الناس لسانه ، وكف اللسان عن الإيذاء جماع الخير وملاك الأمر ، وهل يكب الناس فى النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم!» ويحفظ يده من الدنس ، فلا يراها الناس إلا أداة بر مبسوطة بالعطاء ، مكفوفة عن الإساءة ، شريفة نزيهة .

وهو وإن كانت نفسه منه فى عناء بمجاهدة الهوى وذوى الأهواء ، فالناس منه فى رخاء وسلامة من الإيذاء ، فيحيا حياة طيبة ، ويفوز بحسن العاقبة ، وقد استحق لقب الإسلام ، ولا يفوز بغيره الأنام « إن الدين عند الله الإسلام » « ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » .

فضل الاصلاح بين الناس

قال الله تعالى « لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس . ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما » .

الدين الإسلامى بطبيعته يدعو إلى المودة والائتلاف ، ويكره التفرق والشقاق والخلاف . فإن دعا إلى إصلاح ذات البين ، والقضاء على كل نزاع بين متخاصمين ، فإنما يدعو إلى ما يحفظ وحدة الأمة ، ويقوى شوكتها ، ويعلى كلمتها ، ويسمو بها إلى ذروة المجد والسعادة ، إذ لا سعادة لأمة يأكل بعضها بعضاً ، يعمل الخصام فى جسمها

مَا تعمله السهام من تمزيق الاجساد وإهلاك العباد . وإن دينا يقول نبيه صلوات الله وسلامه عليه « المسلمون كرجل واحد إن اشتكى عينه اشتكى كله » جدير بأهله أن يزيلوا أسباب الشقاق من بينهم ، ويحسموا ما بين الافراد والجماعات والاحزاب من نزاع ، فيصبح الكل كما كانو فى ماضى السنين : إخواناً على صفاء ، يخافهم عدوهم ، وتنشرح بهم صدور قوم مؤمنين .

إن الإسلام جعل المسلمين كتلة متحدة ، ويداً واحدة فوجود العداء بين الجماعات أو الافراد ، يوهن الدين ، ويقضى على قوة الامة ، ويستتبع ذلك حتما ضياع المال ، وتشتيت الحال .

ومن يتأمل حال المسلمين اليوم وما هم فيه من ذل وشقاء واستعباد ويستقرى الاسباب ، يعلم يقينا أن ليس هناك من سبب سوى ما بينهم من عداوة وخصام وتفرق وانقسام وعدم قيام المصلحين بإزالة ما يحدث بين الاخوين من خلاف وشقاق قد يكون الداعى اليه سبباً بسيطاً يكفى فى محو أثره كلمة طيبة من نفس مؤمنة مخلصة محترمة .

فلو أن كل كبير فى أسرته ، وعظيم فى قريته ، وزعيم فى أمته ، قام بالإصلاح بين المتخاصمين ، لرأيت المحبة انتشرت بين الناس ، ورفرفت السعادة على الاسر ، وعاشت الامة فى رفاهية وطمأنينة . ولكنك ترى الزوجين وقد اختلفا فى أمر من الامور ، ودب بينهما دبيب الشقاق فلا يقوم من أهلهما من يرأب الصدع ويجمع الشمل فتزيد النفرة ، ويكبر الشقاق ، وفى الغالب ينتهى بالفراق ،

وفى هذا جناية على أبنائهما ، وتكدير صفو « العائلات » التى ينتميان إليها .

وقد كان كافيا فى منع هذا أن يقوم المصلحون من أهلهما بالتوفيق وإزالة أسباب الشقاق ، امتثالا لقول الله تعالى « وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ، إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما ، إن الله كان عليما خبيرا » .

كذا ترى النزاع قد استفحل بين فردين أو (عائلتين) وقد يجرهما ذلك إلى سلب الاموال ، وهتك الاعراض ، وازهاق الانفس ، فلا يتحرك ذووا الرأى والمكانة لاصلاح ما بينهما ، مخالفين فى ذلك قول الله تعالى « إنما المؤمنون إخوة ، فأصلحوا بين أخويكم ، واتقوا الله لعلكم ترحمون » .

ولقد أمر الله المؤمنين أن يقوموا بالإصلاح بين الطوائف المتشاحنة المتباغضة ، فإن أبت طائفة الإذعان لقول المصلحين العادلين ، أخذوا على يديها حتى تفىء إلى أمر الله وتقف عدوانها ؛ وفى ذلك يقول الله تعالى « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله ، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين » .

إن الخصام لا يثمر إلا عداوة وإضمارا للشر ، وعزما على الفتك

بالناس ، وإيقاع الضرر بهم . وفى هذا تهديد لراحة العباد وإخلال بالأمن العام وفساد فى البلاد ، يستدعى إنفاق الكثير من الأموال وسهر رجال الحكومة محافظة على حياة الأرواح ، وحماية البلاد . وقد كان يدفع هذا الضرر ويوفر ذلك المجهود على رجال الإدارة انتشار لجان الصلح فى القرى والمدن ، على أن يكون المصلحون من ذوى المكانة ، والعدل والإخلاص . لو حدث هذا لحفظ كثير من الناس أموالهم وأرواحهم ، وحل الصفاء محل الجفاء ، واجتنبت المشاجرات ، وحقنت الدماء ، وانصرف كل إلى ما يعود عليه وعلى أمته بالخير والهناءة . ويكفى المصلح جزاء على عمله حسن ثناء الناس ورضا ربه عنه ، ورفع درجته فوق درجة المصلين والصائمين والمتصدقين ؛ فعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟ قالوا بلى . قال : إصلاح ذات البين ، فإن فساد ذات البين هى الحالقة » . وفى رواية زيادة : « لا أقول تحلق الشعر ، ولكن تحلق الدين » .

أسأل الله أن يوفق المسلمين للعمل بآداب دينهم حتى ينالوا سعادة الدنيا والآخرة .

المريض

هو أحوج الناس إلى رحمة ربه ، فجدير به أن يتطهر من ذنوبه

ويتوب ويضرع إلى مولاه ، لعله يناله شيئاً من إحسانه وبره .

والمريض مقدم على خطر ،وأى خطر: فراق للأهل والأولاد والأموال والأحباب ؛ ووداع للدنيا وما فيها من أصدقاء وأخلاء وأصحاب؛ومعاناة لسكرات الموت . وما يدرى ما يُفعل به بعد ذلك إلى جنة يصير،أم إلى نار وسعير. فحق على المريض بنوع خاص أن يتذكر ذنوبه وآثامه ، وفسقه وإجرامه ، وما ارتكبه من عصيان ، ويطلب العفو من الرحمن ، ويرد المظالم إلى أهلها ، ويلتمس ممن أساء إليهم من الناس الصفح والعفو ، ويبكى على خطاياه ، ولا ييأس من رحمة الله ؛ ويحسن ويتصدق ويوصى بقضاء ما عليه من دين، ويكثر من الاستغفار والنطق بالشهادتين وقراءة القرآن . وإياك أخى إذا شعرت بمرض أن تترك الصلاة ، بل إن استطعت أن تصلى قائماً فافعل ، وإن لم تقدر على القيام أو قدرت ولكن يصيبك بسبب القيام آلام تزيد مرضك فصل وأنت جالس، تركع وتسجد ، فإذا عجزت عن ذلك فصل على جنبك الأيمن أو الأيسر تومىء برأسك إيماء إلى القبلة بدون ركوع ولا سجود ، فإن لم تقدر فاستلق على ظهرك واجعل رجليك إلى القبلة وأومىء بالركوع والسجود ، فإن عجزت عن ذلك فأمرك إلى الله وهو يتولى الصالحين .

والموت غاية كل حى،ولا بقاء ولادوام لأحد إلا لله رب العالمين «كل من عليها فانٍ ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام» .

وإذا حضرت الوفاة المريض ، ينبغى أن يشهده أهل الصلاح والتقوى ، وأن يدعوا له بالخير .

والسنة أن يكفن الميت فى ثياب بيضاء . ولكن الناس تغالت فى الأكفان ؛ فترى أهل المتوفى يتسابقون فى شراء القطنى والجوخ وغالى الملابس ؛ إسراف فى غير محله ، والله لا يحب المسرفين . فيحسن بالمتعلمين أن يحثوا إخوانهم المسلمين فى كل بلد : أن يتبعوا فى تكفين موتاهم سنة الرسول الأعظم ، وفى جنائزهم ما أمرهم به دينهم ، فلا يسمحوا بخروج النساء وراء الجنازة ولا بلطم الخدود وشق الجيوب ، وشدة الصياح والنواح ، ولا بالطواف حول البلد فإن ذلك عار على قوم مسلمين ، ومناف للكرامة والشهامة . ومن الممنوع بتاتاً التبذير فى عمل الصيوان ،وتوزيع الدخان، فكل ذلك سنة سيئة ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة .

والسنة فى تشييع الجنازة السكوت،فلاذكر ولاقراءةولابردة.

ومن خرج يشيع جنازة ابتغاء مرضاة الله وصلى عليها ومشى معها حتى تدفن ، رجع من الأجر بقراطين كل قيراط مثل أحُد . ومن خرج معها حتى صلى عليها ورجع ، يرجع وله قيراط واحد . وذبح ذبيحة قبل حمل الميت لبر النعش عليها من فعل الجاهلية . ولا ينفع الميت إلا ما قدمت يداه . ورحم الله القائل :

هو الموت فاحذر أن يجيئك بغتة
وأنت على سوء من الفعل عاكفُ
وإياك أن تحصى من الدهر ساعة
ولا لحظة إلا وقلبك واجف
وبادر بأعمال يسرك أن تُرى
إذا نشرت يوم الحساب الصحائف

ومن مواعظ الشعر قول القائل :

ولدتك أمك يا ابن آدم باكيا
والناس حولك يضحكون سروراً
فاجهد لنفسك أن تكون إذا بكوا
فى يوم موتك ضاحكا مسروراً

بر الوالدين

قال الله تعالى موصياً الأبناء بالآباء : ووصينا الانسان بوالديه حُسنا ، وإن جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما ، إلىَّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون » . ووضع سبحانه وتعالى قانوناً يسير عليه الأبناء فى معاملة الآباء نصه :

« وقضى ربك ألاَّ تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ، إمَّا يبلغنَّ عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريماً واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتى ؟ (صحبتى) قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أمك. قال : ثم من؟قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أبوك » . رواه البخارى ومسلم . وهذا الحديث يبين أن حق الأم آكدمن حق الأب . والجنة تحت أقدام الأمهات . وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : « أقبل رجل إلى نبى الله صلى لله عليه وسلم فقال : أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغى الأجر من الله تعالى . فقال : هل من والديك أحد حى ؟ قال : نعم، بل كلاهما قال: فتبتغى الأجر من الله تعالى ؟ قال : نعم » قال : فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما » رواه مسلم .

فأنت ترى أن الرسول بين أن بر الوالدين أفضل من الهجرة والجهاد فى سبيل الله . بل تأمل قوله عليه السلام « رغم أنف ثم رغم أنف من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة » رواه مسلم . والحديث صريح فى أن معاملة الوالدين بالحسنى والعطف والشفقة ، وبالأخص فى حال شيخوختهما ، سبب فى دخول الجنة .

وعن أسير بن جابر رضى الله عنهما : قال كان عمر رضى الله عنه إذا أتى عليه أمراء اليمن سألهم : أفيكم أويس بن عامر ؟ حتى أتى

على أويس بن عامر ، فقال : أنت أويس بن عامر . قال : نعم ، قال : من مراد ثم من قرن . (قبيلتان) قال : نعم ، قال : فكان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم ؟ قال : نعم . قال : لك والدة ؟ قال : نعم ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يأتى عليكم أويس بن عامر مع أمداد اليمن من مراد ثم من قرن ، كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم ، له والدة هو بها برٌّ ، لو أقسم على الله لأبره ، فان استطعت أن يستغفر لك فافعل ، فاستغفر لى ، فاستغفر له ، فقال له عمر : أين تريد ؟ قال الكوفة . قال : ألا أكتب لك إلى عاملها ؟ قال : أكون فى غبراء الناس أحب إلىَّ .

قال : فلما كان من العام المقبل ، حج رجل من أشرافهم فوافق عمر فسأله عن أويس رحمه الله . فقال : تركته رث الثياب قليل المتاع . فأخبره عمر بما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلما رجع الرجل أتى أويسا فقال : استغفر لى . فقال : أنت أحدث عهداً بسفر صالح . فقال : أستغفر لى . فقال : لقيت عمر ؟ قال نعم . فاستغفر له . ففطن له الناس فانطلق على وجهه رحمه الله » . هذا حديث فى صحيح مسلم . فانظر يا رعاك الله المنزلة التى بلغها أويس ببركة بره لأمه حتى كان من شأنه أن يخبر عنه الرسول ، وأن يطلب من عمر أن يلتمس منه الاستغفار إذا جمعه به الزمان .

وأخرج الترمذى عن ابن عمر قال : أتى رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنى أصبت ذنباً عظيما ، فهل لى من توبة؟ قال : هل لك من أم ؟ قال : لا . قال فهل لك من خالة ؟ قال : نعم . قال : فبرها » .

وأخرج أبو داود عن أبى أسيد مالك بن ربيعة الساعدى « أن رجلا قال : يا رسول الله هل بقى من برى أبوى شىء أبرهما به بعد موتهما ؟ قال نعم : الصلاة عليهما (الدعاء لهما) والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما من بعدهما ، وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما ، وإكرام صديقهما » .

فبر الوالدين ياصاح مكفر للذنوب ، وجالب لرضاء الله تعالى ورافع للدرجات . وعقوق الوالدين مجلب لسخط الله تعالى . وكما تدين تدان . فأحسن إلى والديك يحسن إليك أولادك . وإياك أن تهمل شئونهما أو تسىء معاشرتهما . إنك إن فعلت ذلك تكن من الخاسرين . ولقد ذكرت لك من الآيات والأحاديث ما فيه كفاية ومقنع : غير أنى أذكر لك حديثاً عن الرسول صلى الله عليه وسلم غفل عنه كثير من الناس يتعلق بحرمة الوالدين وبرهما : قال عليه السلام « إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه . قيل يا رسول الله كيف يلعن الرجل والديه ؟ قال : يسب أبا الرجل فيسب أباه ، ويسب أمه فيسب أمه » فحاذر أخى أن تشتم أو تسب

إنساناً ، وليكن شعارك : « خذ العفو ، وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين » .

ثمن الجنة

الجنة : هى دار التكريم والتنعيم ، أعدها الله سبحانه وتعالى لمن برهن بعمله فى دنياه على استحقاقه المثوبة فى أخراه ، وإذا ذكرت الجنة فى القرآن الكريم ، أو ساقها البيان على لسان الواعظين ، خطر بالبال أمران : أولهما البعث ، وثانيهما العمل ؛ ذلك لأن الجنة هى إحدى الدارين اللذين تنتهى إليهما الحياة الثانية التى تتم بها عدالة الله سبحانه بالفصل بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون ، ولتجزى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون « وترى الملائكة حافّين من حول العرش ، يسبحون بحمد ربهم ، وقضى بينهم بالحق ، وقيل الحمد لله رب العالمين » .

وذلك أيضاً لأن الجنة وهى أمنية كل نفس ، لم يجعلها الله سبحانه مستقر ذوى الأمانى الباطلة أو الأعمال السيئة ؛ وإنما جعلها كفاء للخير ، وعمل الصالح النافع ، الذى يعود على النفس وعلى الناس بما يرفع شأنهم ، ويقوى رابطتهم ، ويدفعهم إلى خدمة وطنهم ودينهم ومجتمعهم ، بما رسم سبحانه من حدود ، وما شرع من قوانين . وذلك أمر لو حرص عليه الناس فى دنياهم لم يكن

بينهم تظالم ، ولم يقع منهم عدوان ؛ كما أنه لا يحدث منهم تقصير عن بلوغ الغايات الشريفة ، ولا توانٍ عن الإبداع فى السير على خير النظم ، وهذا هو العمران الحقيق ، والحضارة الراقية ، والمدنية الفاضلة .

نعم : لم يجعل الله سبحانه الجنة ملجأ للكسالى الخاملين ، ممن ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ؛ وإنما جعلها لذوى العقائد الصحيحة ، والأعمال الطيبة ، والهمم العالية ، ممن أثبتوا وجودهم فى الحياة الدنيا بأعمالهم المجيدة وآثارهم الحميدة ؛ إذ ضربوا الأمثال للناس فى كل فرع من فروع الحياة بالجد والانتاج عن جدارة واستحقاق فأرضوا الله تعالى وأرضوا المخلوقين .

وإنك إذا قرأت آيات القرآن الكريم ، وتصفحت آثار الرسول العظيم ، وجدت ذكر الجنة فى سياق الحث على الاستقامة والاجتهاد ، والتضحية والجهاد ، فى رغبة وإخلاص وحب وإتقان. وللقرآن فى ذلك ألوان شتى من التعبيرات تجمع مفارد الأعمال ، وملاك خير الخلال :

« قد أفلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ، والذين هم

لأماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلواتهم يحافظون ، أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس ، هم فيها خالدون » .

« أفمن يعلم أن ما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى ، إنما يتذكر أولو الألباب ، الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ، والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ، ويخشون ربهم ، ويخافون سوء الحساب ، والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم ، وأقاموا الصلاة ، وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ، ويدرءون بالحسنة السيئة ، أولئك لهم عقبى الدار : جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ، والملائكة يدخلون عليهم من كل باب : سلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عقبى الدار » .

« أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين » .

« إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة : يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعداً عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم » .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يروى عنه « أهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط موفق ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم ، وعفيف متعفف ذو عيال » . ويقول عليه السلام :

« من أكل طيبا وعمل فى سنة وأمن الناس بوائقه دخل الجنة » .
وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من رضى بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد رسولا ، وجبت له الجنة » فعجب لها أبو سعيد رضى الله عنه فقال: أعدها على يارسول الله . فأعادها عليه صلى الله عليه وسلم ثم قال: « وأخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة فى الجنة، مابين ، كل درجتين كما بين السماء والارض ، قال : وماهى يارسول الله؟ قال : « الجهاد فى سبيل الله ، الجهاد فى سبيل الله » .

أيها القراء الكرام :

ترون من من هذا أن للجنة ثمناً هو ضريبة الله على العباد ، تؤخذ من أنفسهم وأموالهم ، عملا وتضحية وبراً وجهاداً ، فترد عليهم فى الدنيا أمانا ، وسلما ، وعزاً ومجداً ، وحرية واستقلالا ، وفى الآخرة نوراً ورحمة ، ورضا من الله وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين .

سباق الخيل[1]

لاأدرى لم السكوت على هذا الداء الوبيل الذى تفشى بين طبقات الشعب ، كما لا أدرى حكمة إقرار حكومتنا المسلة لهذا القمار المخرب للبيوت ، المقوض لهناءة الأسر ! . حقاً إن مصر أم

(١) كتب هذا فى الطبعة الثانية سنة ١٩٥٠ م

العجائب ، وكم فيها من مضحكات مبكيات ؟ فبينما ينص دستورها على أن دين الدولة الإسلام ، إذا بولاة أمورنا يبيحون ما حرمه الإسلام ، وإذا بحلبة السباق تتحلى بكبراء وعظماء مصر غير مبالين بما يجره شهودهم لهذا المنكر من تشويه سمعتهم والغض من كرامتهم أمام جمهرة الشعب الذى لايعرف كرامة لمن لايحترم مبادىء دينه ، والذى يسقط من حسابه من ينشر هذا الفساد فى البلاد .

ولست فى حاجة إلى دليل يقام على مدى الأثر السيء الذى ينتج من سباق الخيل ؛ فكم من بيوت هوت إلى الحضيض بسبب غرام أصحابها بهذا الميسر ، وكم من فقير جره الطمع أن يخسر قوت أولاده ليقامر به فى ربح موهوم وكسب حرام ، وكم من خادم سرق مخدومه ، ولا أقول كم سيدة ذهبت فى زينتها وتبرجها وخلاعتها إلى ميادين السباق ... فهذه الصحف والمجلات تطلع علينا بصور آنسات كاسيات عاريات يشهدن السباق ويقامرن مع المقامرين .. بل وترى فى الصحف « فلان العظيم وقرينته فى ميدان سباق الخيل » . ياللعار ؟ ! أبلغ بمصر زعيمة الشرق والإسلام أن يكون أمر الأخلاق فيها فوضى ؛ فلا حياء ولا مروءة ولاغيرة ولا شهامة ؟ ويبلغ بالرجولة أن تذوب ويسمح المرء بعرض زوجه على عشاق سباق الخيل ينظرون إليها وتنظر إليهم ، يعجبون بها وتعجب بهم .

إن سباق الخيل معول يهدم بناء الأمة من الناحية الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية ، وهو كغيره من أنواع الميسر سوس ينخر فى عظـــام الأفراد والجماعات ، بما ينشر من روح البطالة والكسل ، وبما يقف عقبة كؤودا فى سبيل الإنتاج والعمل . فهل لنا بعد هذه العجالة أن نطمع فى غيرة رجال الثورة الأحرار — وقد وكلت إليهم الأمة تدبير أمورها ، وسلمت اليهم زمام شئونها — أن يطهروها من هذه الأدران ، فيعملوا على إصدار تشريع يحمى المجتمع من هذا الفساد ؟ وهل لحكومتنا الرشيدة أن تتنبه إلى هذه الأمراض المتفشية فى الأمة ، والتى تكاد تقضى على البقية الباقية من أخلاقها ودينها ، فتعمل على استئصال شأفة الداء ، وصيانة البلاد من شر هذا الوباء .

إنها لو فعلت ذلك فقد أدت الأمانة ، وقدمت أجل خدمة تذكرها بها الأحقاب والأجيال . والسلام على من اتبع الهدى .

لماذا لا يجاب الدعاء

قيل لإبراهيم بن أدهم : ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا وقد قال الله تعالى « أدعونى أستجب لكم » ؟ قال : لأن قلوبكم ميتة . قيل : وما الذى أماتها ؟ قال : ثمان خصال : عرفتم حق الله ولم تقوموا بحقه ، وقرأتم القرآن ولم تعملوا بحدوده ، وقلتم نحب رسول

الله صلى الله عليه وسلم ولم تعملوا بسنته ، وقلتم نخشى الموت ولم تستعدوا له ، وقال تعالى « إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً » فواطأتموه على المعاصى ، وقلتم نخاف النار وأرهقتم أبدانكم فيها ، وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها ، وإذا قمتم من فراشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم وافترشتم عيوب الناس أمامكم فأسخطتم ربكم ، فكيف يستجيب لكم .

معالم الهجرة

إن للعظمة أسباباً ، وأجل العظماء قدراً ، وأسماهم ذكراً ، من أظهرتهم الشدائد ، وصهرتهم الحوادث ، غالبوا المحن فغلبوها ، وأحاطت بهم البلايا فتخلصوا منها بقوة العزيمة والثبات أمام الخطوب ، سلاحهم الايمان ، وشعارهم : الشدائد تظهر الرجال . وليست العظمة ميراثا يورث عن أب أو جد ، كما أنها لا تكون برفعة المناصب ، ولا بالجاه الكاذب ، وإنما العظمة الحق تتجلى فى الأخلاق والأعمال .

ولقد كان الرسول الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم سيد أولئك العظماء الذين أظهرت الخطوب التى نزلت بهم جلال عظمتهم ، وصادق إيمانهم ، وقوة نفوسهم ، ولقد بلغ صلى الله عليه وسلم من كل أولئك شأوا لا ينال .

اختطف الموت والده وما يزال جنينا فى بطن أمه ، وتوفيت والدته ولما يبلغ السادسة من عمره ؛ ومع حرمانه من حنان الأم ورعاية الأب ، شب كريم السجايا ، جميل الخلق ، نخر أترابه ولداته ، حليته الصدق والعفاف ، وشعاره كرم النفس والمروءة ولين الجانب ، والبعد عن السفاسف . وهو الذى نشأ فى بيئة أمية ترى العظمة فى سفك الدماء وسلب الأموال وعبادة الأحجار ، وتلك سجايا إن دلت على شىء فعلى خطل عقول أربابها وشدة جهالتهم .

إصطفاه لهداية الناس ، وبعثه رحمة للعالمين ؛ فقام يدعو قوماً جفاة تأصل الشر فى نفوسهم ومرنوا على الفساد ، قام يدعوهم إلى ترك عبادة الأوثان ، ويأمرهم بإخلاص العبودية لله وحده ، فناصبوه العداء ، وأخذتهم العزة بالإثم ، وأقاموا العراقيل فى سبيل نشر دعوته ، وآذوه شديد الإيذاء ، فلم يفل ذلك من عزيمته ، ولم يضعف من قوته ؛ بل قابل الشدة باللين ، والجفاء بالمودة . ولكن ذلك لم يلن من قناة القوم ، ولم يكسر من حدتهم ، بل زادهم حلمه نفورا ، ولينه قسوة ؛ فأغروا سفهاءهم بإيذاء النبى الكريم ، وطلبوا من عمه أبى طالب أن يمنعه من القيام بدعوته أو يخلى بينهم وبينه ، فكلمه عمه فى ذلك ، فقال قولته التى سار بذكرها التاريخ ، وأصبحت حديث أهل الشجاعة والبأس والقوة

على مدى الأيام : « والله ياعم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر أو أهلك دونه ماتركته حتى يظهره الله تعالى » .

ولما رأى أن القوم لا يستجيبون لدعوته ، وأن نفوسهم غير مستعدة لقبول النور الذى جاء به من عند الله تعالى ، ولى وجهه نحو غيرهم ، فاستجاب له نفر انشرحت صدورهم لدعوته ، وعاهدوه على نشر كلمته والعمل على نصرته .

ولا تحسب هؤلاء النفر من الكثرة بمكان ، بل هم حفنة من الرجال خالطت بشاشة الإيمان قلوبهم ، وشع النور على بصائرهم ، فكبروا فى أرجاء العالم ، وأرسلوا كلمة التوحيد من أفواههم خالصة بها نفوسهم ، فدوت فى عموم الأنحاء ما بين المشرق والمغرب ، وأصبح أهلها بعد الضعف والقلة سادة الأمم وقادة الشعوب ، وأنشدوا من كتاب الله المجيد : نصر من الله وفتح قريب ، وبشر المؤمنين » .

قد يقول قائل : إن فى الهجرة فرارا وهرباً ، وإن الرجولة تقتضى الثبات حتى الموت ، وما درى هذا القائل أن البقاء مع الضيم والاقامة مع الهوان ، إذلال للنفس وتصغير لشأنها .

فنفسك أكرمها ، وإن ضاق مسكن
عليك لها فاطلب لنفسك مسكنا
وإياك والسكنى بمنزل ذلة يعد مسيئا فيه من كان محسنا

وكيف تكون الهجرة فرارا وقد وصف الله المقيمين على الذل بظلم أنفسهم ، فقال سبحانه : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا » .

إن الذى يصف هجرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالهرب والفرار ، لا يدرى من شئون الحياة ونظام الاجتماع شيئا ، وكيف تعد الهجرة هروبا وصاحبها ممن وقف أمام الآلاف الكثيرة فى ميادين النضال ، لم يلتفت إلى الوراء ، ولم تزعزعه الأهوال . ولقد ظل ثابتا يناضل المشركين ليس معه إلا بضعة نفر من آل بيته فى « حنين » ، وهو يقول : أنا النبى لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب ؟. بل كيف تعد الهجرة جبنا وقد أنجبت مثل ذلك الصحابى الذى احاط به الاعداء من كل ناحية فلم يبال بهم ، وأنشد :

ولست أبالى حين أقتل مسلما على أى جنب كان فى الله مصرعى

إن ذكرى الهجرة تثير فى النفس شئونا وشجونا . ولعل المسلمين حين يحتفلون بها يذكرون مجدا غابرا ، وعظمة مفقودة وملكا أضعناه بانحرافنا عن سلوك الطريق الذى رسمه لنا صاحب الهجرة صلى الله عليه وسلم ، وما هو إلا فى التمسك بكتاب الله ، والاعتصام بهدى رسول الله ، وتآلف القلوب ، وإسناد الامور إلى من يصلحون لها

وتصلح لهم ، ونكران الذات ، والقيام بالواجبات ، والضرب على أيدى المفسدين من أهل الميسر ، والمتبرجات ، والقوادين ، والمرتشين والقضاء على المحسوبية ، ومكافأة المحسن ، وعقاب المسىء ، والاستعداد للأمور قبل وقوعها ، ومقاومة الاستعباد أيا كان ومن أى أمة كان ؛ وأن الإسلام جاء بالحرية وفرض الدفاع عنها ، وكتب الشهادة لمن قتل فى النضال عنها والذود عن حماها .

ولله در أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ؛ فإنه لما رأى أن يجعل مبدأ للتاريخ الاسلامى يؤرخون به رسائلهم ومعاملاتهم ، استشار أصحابه ، فرأى بعضهم أن يكون البعثة الشريفة ، ورأى آخرون أن يكون غزوة بدر أو فتح مكة ، ورأى غيرهم أن يكون مبدأ التاريخ الأسلامى حادث الهجرة ، فقال عمر : إن الهجرة فرقت بين الحق والباطل فارخوا بها . ولقد كان رضى الله عنه موفقا فى ذلك كل التوفيق ؛ فقد رأى أن يكون مبدأ التاريخ الاسلامى مبدأ الجهاد ، تذكيرا للمسلمين فى كل عام بما كان بين الحق والباطل من صراع ، وبما كان لأسلافنا الماضين من عمل مجيد وقوة فى الحق لا تقاوم ، وإيمان يدفعهم إلى أن يكونوا سادة عظماء . فقد كونو ملكا كان غرة فى جبين الدهر .

يجب أن نتذكر ونحن نحتفل بذكرى الهجرة المحمدية تلك النفوس الأبية التى عاشت للفضيلة ، وضربت للحكام فى كل الأزمان

أروع الأمثال . فهذا أبو بكر فى عفته ومضاء عزيمته ، وهذا عمر فى عدله ورحمته وتفقده لشئون رعيته ، بل هؤلاء أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم جميعاً مثلوا الإسلام بالقول والعمل ، فدانت لهم الدنيا وأتتهم صاغرة ، وكتب الله لهم سعادة الدنيا والآخرة .

إن اليوم الذى يعمل فيه هذا البلد بتعاليم الاسلام هو يوم الذكرى ويوم المجد ويوم الفلاح .

شعائر عيد الأضحى

العيد كلمة لفظها كمعناها حلو جميل ، إن قرعت السمع فغبطة وسرور ، وإن ألمت بالنفس فذكريات تفيض خيراً وبراً وحبوراً . فالعيد مرح الشباب وبهجة الأطفال وسرور الكبار .

ويندب إظهار السرور فى أيام العيد ؛ ويشمل ذلك التوسعة على العيال ، والترويح عن البدن ، وبسط النفس فى حدود الأدب والخلق والدين . أما أولئك الذين يتخذون أيام العيد مواسم للفسق والفجور والعبث بالفضائل ، فهم الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . وإلى المسلمين نسوق أهم شعائر العيد .

١ — صلاة العيد :

السُّنة فى صلاة العيد أن تكون فى المصلى — بالصحراء — وقد واظب النبى صلى الله عليه وسلم على صلاتها فى مصلى العيد — بالصحراء — طوال حياته المباركة ، ولم يصل العيد فى المسجد إلا لعذر المطر

ولذا يرى كثير من العلماء والأئمة أن الأفضل فى صلاة العيد أن تكون فى المصلى ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم لا يحافظ إلا على الأفضل، وما أبهاه منظراً وعظمة وجلالا حين ترى أهل البلد جميعاً اجتمعوا فى مكان واحد يرفعون أصواتهم بالتكبير والتهليل ، يشاركهم فى ذلك الأولاد والذرارى ، فيسرون بعملهم هذا أهل الايمان ، ويغيظون أهل الكفر والضلال .

ويرى الشافعى رضوان الله عليه أن الصلاة فى المسجد الواسع أفضل . وقد كان من السنة خروج البنات الكبار ومن قاربن البلوغ فى العيدين يشهدن الخير ودعوة المسلمين ، وفى ذلك تقول أم عطية رضى الله عنها : « أمرنا أن نخرج — أى إلى المصلى — العواتق والحيض فى العيدين يشهدن الخير ودعوة المسلمين ، ويعتزل الحيض المصلى » . ولئن كان هذا هو السنة ، فإنه نظراً لفساد الزمان وأهله نتمسك بقول السيدة عائشة رضى الله عنها : « لو رأى النبى صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء لمنعهن عن المساجد » ، وأنا أقول : لو رأت السيدة عائشة رضى الله عنها ما أحدث نساء زماننا لأنكرت أن يكون فى البلد إسلام . وصلاة العيد ووقتها وكيفيتها وعدد تكبيرات العيد مشروحة مفصلة فى كتب الفقه ، فليرجع إليها من شاء .

تكبير التشريق :

أيام التشريق هى الأيام الثلاثة التى تلى يوم العيد . والتكبير فيها — ويسمى : تكبير التشريق — واجب عند أبى حنيفة على المقيم بالمصر إذا صلى المكتوبة فى جماعة ، ويبتدىء وقته عقب صلاة الصبح من يوم عرفة ، وينتهى عقب صلاة العصر من آخر يوم من أيام التشريق الثلاثة . وعند الشافعية هو سنة بعد كل صلاة فرضاً كانت أو نفلا ، ووقته من فجر يوم عرفة إلى العصر من آخر أيام التشريق الثلاثة .

وعند الإمام مالك يندب تكبير التشريق عقب خمس عشرة فريضة فى جماعة وغير جماعة ، وفى المصر وغيره ، ويبتدىء عقب صلاة الظهر من يوم العيد ، وينتهى بصلاة الصبح من اليوم الرابع . ولفظ التكبير — مع اختلاف يسير بين الأئمة — أن تقول : « الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله ، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد ، وله أن يزيد الله أكبر كبيراً ألخ . . فالأمر على السعة فى هذا .

٣ — الأضحية :

هى سنة من سنن الإسلام ؛ ففى الحديث الذى رواه أحمد وابن ماجة عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما عمل ابن آدم يوم النحر عملا أحب إلى الله من هراقة

دم ، وإنه لتأتى يوم القيامة بقرونها وأظلافها وأشعارها ، وإن الدم ليقع من الله عز وجل بمكان قبل أن يقع على الأرض ، فطيبوا بها نفسا » .

وعن زيد بن أرقم قال « قلت يارسول الله ما هذه الأضاحى؟ قال : سنة أبيكم إبراهيم . قالوا ما لنا منها ؟ قال : بكل شعرة حسنة . قالوا : فالصوف ؟ قال : بكل شعرة من الصوف حسنة » .

وروى الدارقطنى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما أنفقت الورق فى شىء أفضل من نحيرة فى يوم عيد » والورق : الفضة المضروبة .

والأضحية : هل هى واجبة أو سنة ؟ جمهور السلف على أنها سنة مؤكدة . روى ذلك عن أبى بكر وعمر وبلال وأبى مسعود البدرى وسعيد بن المسيب . والمشهور عن أبى حنيفة أنها واجبة على الموسرين المقيمين فى الأمصار ، فلا تجب عنده على مسافر ، ولا على ساكن القرى . وجزى الله عنا نبينا صلى الله عليه وسلم خير الجزاء ، فقد روى أحمد وأبو داود والترمذى من حديث جابر رضى الله عنه قال : « صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عيد الأضحى ، فلما انصرف أتى بكبش فذبحه فقال : بسم الله والله أكبر ، اللهم هذا عنى وعمن لم يضح من أمتى » .

وروى الإمام أحمد من حديث على بن الحسين عن أبى رافع

« أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا ضحى اشترى كبشين سمينين أقرنين أملحين ، فإذا صلى وخطب الناس أتى بأحدهما وهو قائم فى مصلاه فذبحه بنفسه بالمدية ، ثم يقول : اللهم هذا عن أمتى جميعاً : من شهد لك بالتوحيد وشهد لى بالبلاغ ، ثم يؤتى بالآخر فيذبحه بنفسه ويقول : هذا عن محمد وآل محمد ، فيطعمهما للساكين ويأكل هو وأهله منهما » الحديث .

وإذ قد علمت مما تقدم أن الأضحية سنة أو واجبة ، فاعلم أن ذلك على من رزقهم الله بسطة وسعة . فقد روى الإمام أحمد وابن ماجة عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من وجد سعة فلم يضح فلا يقربن مصلانا » . وهذا يدلك على تأكد سنيتها فى حق من وسع الله عليهم فى الرزق وأما أنتم أيها الفقراء فلا يحزنكم عدم قدرتكم على شراء الأضحية ، ووسعوا على أولادكم بما هو فى حدود طاقتكم ، ولكم أسوة حسنة فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد أخرج البيهقى عن ابن عباس أنه كان إذا حضر الأضحى أعطى مولى له درهمين ، فقال: اشتر بهما لحما وأخبر الناس أنه ضحى ابن عباس . وروى أن بلالا ضحى بديك ، ومثله روى عن أبى هريرة .

هذا وقد أجمع أهل العلم على أنه لا يجزى. فى الأضحية إلا الأنعام وهى الإبل والبقر والغنم . وأجازوا الجزع من الضأن (وهو ماله

ستة أشهر ودخل فى السابع) ولا يجزىء إلا الثنى من المعز والبقر والإبل (والثنى من المعز هو ماتمت له سنة ودخل فى الثانية ، ومن البقر ماله سنتان ودخل فى الثالثة ، ومن الإبل ماله خمس سنين ودخل فى السادسة) .

وتجوز التضحية بالخصى وهو منزوع الأنثيين ، ولا تصح التضحية بالعرجاء البين عرجها ، ولا بالعجفاء ، وهى المهزولة التى ذهب مخ عظامها من شدة هزالها ، كذلك لا تجوز التضحية بالعوراء التى انخسفت عينها وظهر عورها ، ولا تجوز بالمريضة التى لا يرجى برؤها .

ووقت الذبح باتفاق أهل العلم بعد صلاة العيد ، لقول الله تعالى : « فصل لربك وانحر » ولقول النبى صلى الله عليه وسلم : « أول ما نبدأ به فى يومنا هذا نصلى ، ثم نرجع فننحر ؛ من فعله فقد أصاب سنتنا ، ومن ذبح قبل فإنما هو لحم قدمه لأهله ، ليس من النسك فى شىء » ، ويجوز الذبح فى يوم النحر وثلاثة أيام التشريق بعده عند الشافعى . وعند مالك وأبى حنيفة وأحمد فى يوم النحر ويومين بعده . ويستحب أن يباشر الذبح بنفسه إن كان يحسنه ، ويسمى ويكبر ؛ وإلا فليشهد ذلك . فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لفاطمة رضى الله عنها : « قومى إلى أضحيتك فاشهديها ، فإنه بأول قطرة منها يغفر لك ماسلف من ذنبك » .

ويحسن تقسيم الأضحية إلى ثلاثة أقسام : قسم يتصدق به ، وقسم يدخره ، وقسم يأكله أو يجعله وصلة بينه وبين إخوانه هدية . ولا يعطى أجرة الجزار منها . وجمهور أهل العلم على أنه لا يجوز بيع جلود الأضاحى . (وما أحسنه صنعا لو تصدق به على جمعية الإسعاف أو الهلال الأحمر) أو باعه وتصدق بثمنه على المساكين كما يروى ذلك عن أبى حنيفة . وتجزىء البقرة أو البدنة عن سبعة ، والشاة تكفى عن الرجل وأهله ؛ فقد روى عن عطاء ابن يسار قال: سألت أبا أيوب الأنصارى : كيف كانت الضحايا فيكم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : كان الرجل فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم يضحى بالشاة عنه وعن أهل بيته .

وإنى أضرع إلى الله تعالى أن يعيده على العالم بالسلم والسلام ، وأن يقوى عزائم المسلمين ، ويجمع كلمتهم على خير الدين ، ونصرة الإسلام .

موازنة بين بعض شرائع الاسلام

وغيره من شرائع بعض الديانات الأخرى

تمهيد :

كتب هذا الفصل فى سنة ١٩٣٥ م حين انتشرت حركة التبشير فى جميع أنحاء القطر المصرى ، وقامت جماعة كبار العلماء بوضع

رسائل لمقاومة هذه الحركة الضارة باتحاد عنصرى الأمة ، فرأيت أن أضع فى كتابى هذا مقارنة بين بعض شرائع الإسلام وغيره من شرائع بعض الديانات الأخرى ، ولست أريد فى هذا المبحث أن أنتقص أى دين من الأديان ، فإن من إرشادات الدين الاسلامى لكم دينكم ولى دين ».

إنما أقصد تبيان حقيقة ينبغى أن يعلمها كل إنسان ، وأن يبحثها على الأخص الذين يزعمون أنهم يبشرون بدين المسيح عليه السلام : تلك الحقيقة التى يجاهر بها المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها هى أن إرشادات الإسلام وأحكامه توافق العقول وتساير الطبائع وتناسب كل قوم ، وتقوم بحاجات كل عصر . ذلك لأن الإسلام هو الدين الخالد ، وهو خلاصة الأديان جميعاً « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » .

الإسلام بنى على خمسة أركان :

شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا . وهذه القواعد الخمس هى جماع الفضائل والمكارم ؛ فالإيمان بالله وبأنه واحد لا شريك له لم يلد ولم يولد وليس كمثله شىء — قد تقدم الكلام عليه ، وقد بينت هناك أن الاسلام طالب العقول بالنظر فى مصنوعات الله لتصل إلى معرفة الصانع الواحد ، ولم يستعمل

الدين الاسلامى فى إثبات الصانع سبحانه وتعالى من خوارق العادات شيئا ؛ بل لفت العقل إلى ما يحيط به من أرض وسماء وكواكب ، « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب » ، والايمان الذى يحصل بالبحث والفحص والمشاهدة يطمئن له القلب ، ويثبت فى النفس ، ويستريح له الفؤاد ؛ وأما ذلك الايمان التلقينى التقليدى فهو كريشة فى مهب الرياح يحركها النسيم ذات الشمال وذات اليمين ، والله سبحانه وتعالى له فى كل شىء آية تدل على أنه الواحد .

وفى إثبات الرسالة لمحمد عليه السلام استعمل الاسلام خوارق العادات والاتيان بالمعجزات . ولكن خارق العادة الذى أيد به محمد عليه الصلاة والسلام من الخوارق الباقية والمعجزات الدائمة ؛ ذلكم هو القرآن الكريم الذى تحدى به العرب ، وهم من تعلم فى الفصاحة والبلاغة ، أن يأتوا بسورة من أقصر سوره ، فعجزوا ولم يستطيعوا الاتيان بما يدانيه فضلا عما يساويه . ذلك لأن القرآن ليس من كلام البشر ، إنما هو من كلام خلاق القوى والقُدر .

ذلكم الركن الأول : الاقرار بأن للعالم إلهاً واحداً ، وبأن محمداً عبده ورسوله .

الركن الثانى : إقامة الصلاة ، وقد سبق الكلام عليها .

الركن الثالث ، الزكاة : وهى دواء المجتمع وطب القلوب ؛ فإنها

تطهر النفوس من رذيلة البخل والشح « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ». ولها فوق ذلك أثر حميد فى تخفيف ويلات المحتاجين ودفع شرور المعتدين ؛ ذلك لأن ما يتكون من المقادير القليلة التى لا تضر أرباب الأموال ، يوزع على أصحاب الفاقة ممن نكبهم الدهر ، حتى لا يقتل الجوع والعرى بعضهم ، ويدفع بعضهم الآخر إلى العبث فى الأرض وتهديد الأمن وأكل أموال الناس بالباطل . ولذا أوجب الاسلام على أولى الأمر أخذ الزكاة قهراً من أصحاب الأموال عند امتناعهم عن دفعها للفقراء ، وجعلها زكاة وطهارة لباذليها ، فقال جل شأنه : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » . إن الاسلام وضع نظاما للزكاة لو سار الناس عليه لانقطع دابر الاشتراكية المتطرفة ، والشيوعية المسرفة ؛ وفى ذلك راحة الحكام ، وصرف مجهوداتهم إلى ما يعود على الأمم بالرفاهية ورغد العيش .

الركن الرابع : الصوم ، وهو امتناع الشخص عن تناول الطعام والشراب والمباشرة يوما كاملا (من بزوغ الفجر إلى غروب الشمس) . والصائم تارك للشهوات الرئيسية بياض النهار . وكان له قبل ذلك تمام الحرية ، يتناول ماشاء فى أى وقت أراد . وإرواء النفس بشهواتها ولذاتها يطمس نور العقل ويحول دون صفاء الروح . فخلو الجوف فى هذه الفترة القصيرة يجعل التفكير مستقيما

والرأى سديداً ، وينظم عمل المعدة ويخفف عن جهاز الهضم الخ الخ.

أما صفاء الروح فيدل عليه ارتفاع درجة الشعور بحالة المساكين والعطف على المحتاجين ، فترى البذل والسخاء والاحسان فى أيام الصيام أكثر منه فى أى وقت كان . والصوم يمرن النفس على أن تمضى فى عزمها وتنفيذ إرادتها ، ويغرس فيها خلق الصبر الذى هو الدعامة الكبرى فى حياة المجاهدين الذين يدعون إلى الفضيلة والأخلاق الجميلة . ورحم الله أمير الشعراء شوقى بك حيث يقول :

الصوم حرمان مشروع ، وتأديب بالجوع ، وخشوع لله وخضوع ؛ لكل فريضة حكمة ؛ وهذا الحكم ظاهره العذاب وباطنه الرحمة ؛ يستثير الشفقة ، ويحض على الصدقة ، يكسر الكبر ، ويعلم الصبر ويسن خلال البر ، حتى إذا جاع من ألف الشبع ، وحرم المترف أسباب المتع ، عرف الحرمان كيف يقع ، والجوع إذا ألمه لذع .

الركن الخامس : الحج ، هو مؤتمر المسلمين العام ، فيه يجتمعون من مشارق الأرض ومغاربها فى صعيد واحد ، يعبدون إلهاً واحداً ، قلوبهم متحدة ، وأرواحهم مؤتلفة . بالحج يتذكر المؤمنون الرابطة الدينية ، وقوة الوحدة الاسلامية ، وله بعد ذلك الأثر الحميد فى تصفية النفس وتعويدها البذل والانفاق ، وتحمل المشاق ، وترك الزينة والخيلاء .

فيه يتذكر المرء يوم حشر الأجسام ، واشتداد الزحام ،

والعرض على الملك العلام ، يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ، والأمر يومئذ لله » .

تلك نبـــذة إجمالية ، عن بعض مزايا التكليفات العبادية ، فى الشريعة الإسلامية ، وهى كما ترى معقولة المعنى مدركة الثمرة . ولو بحث المنصفون من أهل الديانات الأخرى فى إرشادات الإسلام وتعاليمه لعلموا علم اليقين أنه الدين العالمى الخالد ، فقد كفل الاسلام بإرشاداته السامية وقوانينه العادلة سعادة البشر ، فكم ترى فيه من آداب وأخلاق ، واقتصاد وسياسة ، وأمر بالاحسان حتى إلى أعدائه «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين » . والاسلام دين العمل ، يبغض التواكل والخمول ، ويحث على العمل والسعى فى مناكب الأرض لتحصيل الرزق .

فمن إرشادات نبى الاسلام «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده » ويخبر الرسول عليه السلام «أن من الذنوب ذنوبا لايكفرها صلاة ولا صيام ولا زكاة ولا حج ، ولكن يكفرها السعى على العيال » .

يبين الاسلام أن عظمة الأمم تكون باتحاد الأفراد وقوة الرابطة بينهم . فكان من إرشاداته « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » ، « والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » .

ترى الاسلام يرشد أبناءه إلى ما يجب أن يكونوا عليه بالنسبة إلى أعدائهم، فأمرهم أن يعدوا لهم ما استطاعوا من قوة، استعداداً للطوارىء، ومع ذلك قال « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ».

أمر بالعدل والاحسان وصلة الرحم « إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى. يعظكم لعلكم تذكرون ».

رغب فى بذل المال للفقراء بعبارات تسيل رقة وتستدر العطف « من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة، والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون » « ما عندكم ينفد وما عند الله باق » « وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً ».

حض الاسلام على تعلم العلوم والتزود منها، وبين أن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة. وأثنى على العلماء، فى القرآن الكريم « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ». وقال سبحانه « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ».

قال ابن عباس فى تفسير الآية: للعلماء درجات فوق المؤمنين عدتها سبعمائة، وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم: «يستغفر للعالم ما فى السموات والأرض» والمراد العامل بعلمه. والكلام فى

إرشادات الاسلام ومحاسنه لا يسعه هذا المختصر فنكتفى بما أسلفنا لنعرض عليكم « كلمة موجزة فى الموازنة بين دين الاسلام ودين المبشرين » الذين يريدون تعكير السلام، والحط من كرامة الاسلام ولست أقصد بهذا إلا الدفاع عن دينى وتنبيه أبناء الاسلام إلى مزايا دينهم الذى يقول الله فيه « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » وسواء أكان كلامى ثقيلا أم خفيفاً على جماعة المبشرين فإنى أحاججهم من نفس كتابهم المقدس لعلهم يفقهون .

جاء فى سفر التثنية ما يفيد ضعف الاله عن التخلص من مخلوق من خلقه ، وأن هذا المخلوق صارع ربه حتى طلع الفجر ! فهل حقيقة ما ورد فى السفر المذكور من أن يعقوب صارعه إنسان (هو الله) حتى طلوع الفجر ، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه فانخلع حق فخذ يعقوب فى مصارعته معه، وقال أطلقنى لأنه قد طلع الفجر ، فقال لا أطلقك إن لم تباركنى ، فقال له ما اسمك ؟ فقال يعقوب ، فقال لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل ، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت . وسأل يعقوب وقال أخبرنى باسمك ؟ فقال : لماذا تسأل عن اسمى ؟ وباركه هناك، فدعا يعقوب اسم المكان فنئيل قائلا لأنى نظرت الله وجها لوجه ونجيت نفسى ! » .

أقول : إن إلها يطلب من يعقوب أن يطلق سراحه بعد تلك

المصارعة العظيمة التى دامت حتى طلوع الفجر، ولم يستطع الخلاص من يعقوب إلا بعد أن جمع كل قوته وكسر حق فخذ يعقوب ، هذا الاله الموصوف بتلك الأوصاف ، لا يعرفه المسلمون ولا يؤمنون به ، ويسألون لمن يؤمن بمثل هذا الاله الضعيف المسلوب الارادة الذى يجهل اسم عبد من عبيده ، الهداية للحق حتى يتبعوه ، وإنما المسلمون يومنون بإله ليس كمثله شيء ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كُفواً أحد .لا يغلبه غالب ، ولا يلحقه طالب ، بل هو القاهر فوق عباده ، لا يعجزه شيء بل كل شيء فى قبضته ، وكل مخلوق محتاج إلى فيض رحمته .

هل يكون إلهاً أيها العقلاء من يوصف بالكذب والحزن ، وبكونه إنساناً ، وبأنه كغريب ومسافر ؟ إن شئتم معرفة ذلك اقرؤا فى سفر أرميا ١٤ — ٩ ما نصه : « يا رجاء إسرائيل مخلصه زمان الضيق لماذا تكون كغريب فى الأرض ،وكمسافر يميل ليبيت ؟ لماذا تكون كإنسان قد تحير كجبار ، لا يستطيع أن يخلص وأنت وسطنا يارب !» واقرؤا فى سفر التكوين ص٦ — ٦ مانصه «فحزن الرب أنه عمل الانسان فى الأرض وتأسف فى قلبه . فقال الرب : «امحوا عن وجه الأرض الانسان الذى خلقته» !. وفى سفر أرميا مانصه : « أتكون لى مثل كاذب ، مثل مياه غير دائمة» . فكروا يا جماعة المبشرين ، هل يكون إلهاً من وصفتموه بالأوصاف

السالفة ؟ اللهم إن المسلمين والعقلاء بريئون مما تقولون ، وسبحان الله عما تصفون .

تعالوا أيها المبشرون إلى خلاصة بنى الانسان : الرسل عليهم السلام الذين اصطفاهم ربنا على العالمين ، هل هم زناة وكذبة ولصوص لسنا نأتيكم بشيء من عندنا ؛ إنا نواجهكم بذات كتابكم (الإنجيل) اقرؤا واحكموا على أنفسكم جميع الذين أتوا قبلى هم سراق ولصوص ، إنجيل يوحنا ١٠ — ٨ ؛ وهل تصدقون ما جاء فى كتبكم المقدسة من أن لوطاً زنى بابنتيه ، وأن رؤبيل بكر يعقوب دنس فراش أبيه ، وأن داود زنى بامرأة أوريا الحثى ، وأن سليمان مات كافراً .. اللهم إن الاسلام والفضيلة بل والانسانية تنزه الرسل الكرام عن هذا النقص الشائن والعيب الذى لو نسب إلى أحط الطبقات لكان خزيا وعارا يلطخ جبين الفضيلة سبحان الله هذا بهتان عظيم . وهل نصدق ما ذكر فى الأناجيل من أن عيسى عليه السلام فى افراح (قانا) ملأ من النبيذ ستاً من قدر الماء تسع كل واحدة منها ما يقرب من سبعين إلى تسعين لتراً بمكيالنا الحاضر وهل نصدق ما جاء فى مواضع متعددة من الأناجيل من أن عيسى عليه السلام شرب نتاج الكرمة (الخمر) وخلع ملابسه أمام جمع من الرجال ، ثم اتزر بمنشفة ، وكان يغسل أرجل تلاميذه ، ويمسحها بالمنشفة التى كان متزرا بها وهل يبلغ به النشوان لا يراعى أبسط مظاهر الحشمة والوقار . اما الإسلام فقد حرم الخمر لما فيها من ضرر يؤثر

على العقل ، ويفقد الشخص مهارته ويميت فيه الشعور وقد ذكر علماء أوربا أن الخمر تؤثر فى غشاء المعدة والكبد ، وفى القلب ، وفى جهاز الهضم ، وفى أعضاء التناسل ، وفى كرات الدم ودرجة حرارة الجسم . . الخ . وهذه الأضرار التى فى الخمر أدركها الاسلام من فجر ظهوره ، وحرم تعاطيها على قوم تعودوها ، على يد نبى ما كان ليعرف إلا ما عرفوا لولا الله الذى علمه ما لم يكن يعلم .

أنظر تشديد محمد صلى الله عليه وسلم فى تحريم الخمر ؛ فقد جاء فى الحديث « من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الايمان كما يخلع الرجل قميصه من رأسه » فالاسلام صان المجتمع (لو نفذ تحريم الخمر) من شر كبير ، وضرر جسيم .

وإن تعجب لهؤلاء المبشرين فعجب ما جاء فى كتابهم الذى يبشرون به من أن عيسى عليه السلام وجه إلى والدته العزراء الطاهرة أقوالا لو صدرت من أحد الدهماء لاستحق عليها التقريع والتعنيف ، فكيف بها من رب أو ابن رب جاء فى إنجيل يوحنا الاصحاح الثانى عشر ما نصه : « وفى اليوم الثالث كان عرس فى قانا الجليل ، وكانت أم يسوع هناك ، ودعا أيضاً يسوع تلاميذه إلى العرس ، ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له : ليس لهم خمر . قال يسوع : مالى ولك يا امرأة » . أما القرآن فيحكى عن عيسى « وبرا بوالدتى » ؛ وليس هذا القول الدال على تحقيره لأمه أمام تلاميذه من البر فى شىء . وإن من عوام المسلمين من يحمل أمه على كتفه ويطوف بها حول الكعبة ، ويعتقد أنه لن

يجازيها بما فعلت معه مهما عمل . أيها المبشرون هل يكون ربا أو ابن رب من يظهر الجزع والحزن ويتأثر بالهموم جاء فى إنجيل متى الإصحاح السادس والعشرين ما نصه: «نفسى حزينة جداً حتى الموت. امكثوا ها هنا ، واسهروا معى . ثم تقدم قليلا وخر على وجهه وكان يصلى قائلا : يا أبتاه إن أمكن فلتبعد عنى هذه الكأس ، فهل يخاف عيسى الموت ويتعرى من الشجاعة وهو ابن الرب فى زعمكم : إليكم شجاعة واحد من أتباع محمد وقد أحاط به الأعداء من كل جانب فلم يعبأ بهم ، وأنشد :

ولست أبالى حين أقتل مسلما على أى جنب كان فى الله مصرعى

بل إليكم ما قالته امرأة مسلمة تحرض ولدها على قتال أعدائه : يا بنى إن الشاة إذا ذبحت لا تبالى بالسلخ .

وهل حقيقة مافى كتابكم المقدس من أن عيسى جاء ليلقى نارا على الأرض إن لم يكن كذلك ففسروا لنا ما جاء فى انجيل لوقا الإصحاح الثانى عشر ، ونصه :

« جئت لألقى ناراً على الأرض فما أريد لو اضطرمت أتظنون أنى جئت لأعطى سلاما على الأرض كلا أقول لكم بل انقساما ، لأنه يكون من الآن خمسة فى بيت واحد منقسمين ثلاثة على اثنين ، واثنان على ثلاثة ، ينقسم الأب على الابن والابن على الأب ، والأم على البنت والبنت على الأم ، أفيمكن ولا حرج علينا أن نفهم من

تلك الآية أن المسيح عليه السلام جاء ليفرق حتى بين الوالد وأولاده وأين هذا من قول الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم « يأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجاً منيرا ».

وهو لا يكون سراجا يضيء العالم إلا بالدعوة إلى المودة والمحبة والتعاطف والتراحم ، لا بين الأسرة فحسب بل بين العالمين . ولذا وصفه الله بالرحمة والرأفة فى قوله تعالى « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ». وجاء فى انجيل لوقا ١٤ و ٢٥ و ٢٦ مايدل بصريح العبارة على أن السيد المسيح يدعو تلاميذه إلى بغض آبائهم وأولادهم وأزواجهم وإخوانهم بل وأنفسهم ؛ وإن لم يفعلوا فلا ينبغى أن يكونوا من تلاميذه . واليكم النص « وقال لهم يسوع إن كان أحد يأتى إلى ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وإخوته وإخوانه حتى نفسه أيضا فلا يقدر أن يكون لى تلميذاً ». وازن أيها المنصف بين هذا وبين ماورد فى القرآن الكريم خاصا بمعاملة الأبوين اللذين يدعوان أولادهما إلى الشرك والضلال : ورد فى التاريخ أن حمنة بنت أبى سفيان لما علمت بإسلام ولدها سعد بن أبى وقاص قالت له : ياسعد بلغنى أنك قد صبأت ، فوالله لا يظلنى سقف من الحر والبرد ، وإن الطعام والشراب على حرام حتى تكفر بمحمد.

وبقيت كذلك ثلاثة أيام . فجاء سعد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وشكا اليه أمر أمه ، فنزل فى ذلك للإرشاد قول الله تعالى : « ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين : أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير . وإن جاهداك على أن تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما ، وصاحبهما فى الدنيا معروفا ، واتبع سبيل من أناب إلى ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون ، أوصاه بالوالدين كافرين كانا أو مؤمنين ، وكلفه الاحسان إليهما . فإذا أمراه بمعصية فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

وجاء فى الباب التاسع عشر من إنجيل لوقا مانصه :

« أما أعدائى أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدامى » وهكذا يكون التسامح مع المخالف فى العقيدة ! . قارن بين هذا وبين ما جاء فى الاسلام : من أن أحد بنى سالم بن عوف جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره أن له ولدين مسيحيين ، وأنه يريد إجبارهما على الدخول فى الاسلام فتلا عليه الرسول قول الله تعالى « لا إكراه فى الدين » . وكيف تمكن الموازنة بين دين يأمر بذبح المخالف فى العقيدة ، وبين دين يقول رسوله « من آذى ذميا فليس منا » ، و « لهم مالنا وعليهم ماعلينا » . ومن الآيات التى يفخر بها المبشرون وليس بها فخر لو كانوا يعقلون : تلك الآية التى وردت فى إنجيل متى ونصها : « من لطمك

على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً » . ويمينا لو فشا هذا التعليم فى أمة وعملت بموجبه ، لظلت مستعبدة لغيرها ، لاتجير من يطلب عونها ، ولا تستطيع حفظ كيانها ؛ فلا غرو إن رأينا دول أوربا جمعاء ، بل جميع المسيحيين يضربون بهذا التعليم عرض الحائط ، بل يتجاوزونه إلى النقيض . وما حوادث الأندلس وطرابلس والجزائر منا ببعيد . وإنى أقول إن الرضا بهذا التعليم والعمل به ضرب من المذلة والهوان . وحط من كرامة الإنسانية ، وتحريض لأهل الفجور على العبث فى الأرض ؛ والاسلام لا يرضى بهذا النوع من الهوان ، لأن من أصوله : « علو الهمة من الإيمان » . وجزاء اللطمة فى الاسلام لطمة مثلها ، وجزاء الاعتداء اعتداء مثله إن كنت تريد شفاء غليلك من خصمك واستيفاء حقك منه ، وإن شئت العفو والسماح فذلك خير وأبقى ؛ قال الله تعالى : « وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن عفى وأصلح فأجره على الله » وقال سبحانه : « وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » .

وأما دعوى المبشرين أن عيسى إله أو ابن إله فهى دعوى عندها تتحطم أقلامهم ، وتخمد أنفاسهم . فلو كان عيسى إلها فمن كان يدير الكون قبل وجوده ؟ بل من كان يقوم بشئون الخلق وهو فى

بطن أمه ؟ وكيف يكون إلهاً من يحتاج إلى اللقمة يأكلها ، والثوب يستر به عورته ، والحمار يركبه ...!

وزعمهم أن عيسى ابن الله لأنه وجد من غير أب ، يلزم منه أن يكون آدم كذلك ، بل أولى ، لأنه وجد من غير أب وأم. وإن قالوا إنه كان يحيى الموتى ، نقول لهم يلزم أن يكون حزقيال أولى منه ، لأنه أحيا أمة بأسرها ، وأما عيسى فأحيا ثلاثة . وإن قالوا إن الله نفخ فيه من روحه ، قلنا لهم كل مخلوق فى الأرض أو فى السماء نفخ الله فيه من روحه ، فيلزم أن يكون الكل أبناء الله. ألا يعلم دعاة التبشير أن الولد لابد أن يكون فيه كل خواص والديه كما هو الناموس الطبيعى للوجود ، فولد الانسان إنسان ، يأكل ويشرب وينام إلخ وابن الاله يلزم أن يكون فيه كل خواص أبيه ، فلا يأكل ولا ينام ولا يبول ولا يتغوط ولا يموت ولا يقهره أعداؤه ، فهل عيسى كذلك ؟ وأين ذهبت قوة الاله حين أخذ اليهود ثمرة فؤاده ليقتلوه؟

عجبا للمسيح بين النصارى ... وإلى الله والداً نسبوه
نسبوه إلى الاله افتراء ... ثم ظنوا اليهود قد صلبوه
لو حكمنا بصحة الصلب والقتـ ... ـل عليه فأين كان أبوه !
يشفق الوالد الرحيم على الابـ ... ـن إذا ما أعداؤه ضربوه
فاذا كان راضياً بأذاهم ... فاحمدوه لأنهم جلبوه
وإذا كان ساخطاً لأذاهم ... فاعبدوهم لأنهم غلبوه

إن دعوى ألوهية عيسى أو بنوته لله ، منقوضة بنص الانجيل الموجود فى أيديهم الآن، فى الاصحاح السابع والعشرين من إنجيل متى ما نصه « صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا ايلى ايلى لما شبقتنى . أى إلهى إلهى لماذا تركتنى ، فقد التجأ وقت شدته إلى إلهه وخالقه لا إلى أبيه كما يزعمون . وأيضا اليكم آية من الانجيل أصرح من المتقدمة تدل على أن الله واحد وعيسى رسول فحسب ، نصها من إنجيل يوحنا « وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الاله الحقيق وحدك ، ويسوع المسيح الذى أرسلته » وصدق الله العظيم فى قوله « ما المسيح ابن مريم إلا رسول قدخلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام » .

نصيحتى لجماعة التبشير أن تبشر بدينها فى غير البلاد الاسلامية . فإن الاسلام متين بتعاليمه قوى بإرشاداته ، بل إن كان المبشرون عقلاء ، يمنعون انتشار الاسلام فى بلادهم بدون دعوة من أهله ! وأقول أولى لهم ألف مرة من هذا الهذيان أن يحاربوا الإلحاد الذى بدأ وفشا فى أممهم ، حتى كاد يستأصل ديانتهم ، ويقضى عليها القضاء الأخير .

وأما الإسلام فهو تلك الشجرة التى أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، بل هو القوة التى عندها تتزعزع عقيدة المبشرين .

وإنى أسوق لحضرات القراء بعض أقوال فلاسفة المسيحيين فى

مدح الإسلام ونبي الإسلام، قال الفيلسوف[1] الفرنسي (لامارتين) «أترون أن محمداً كان أخا خداع وتدليس وصاحب مين كلا بعد ما وعينا تاريخه ودرسنا حياته، فان الخداع والتدليس والباطل والمين كل أولئك من نفاق العقيدة، وليس للنفاق قوة العقيدة، كما أنه ليس للكذب قوة الصدق» وقال إسحاق طيار رئيس الكنيسة الانجليزية ببلاد الانجليز «الإسلام ينشر المدنية التي تعلم الإنسان ما لم يعلم، والتي تقول بالاحتشام في الملبس، وتأمر بالنظافة والاستقامة وعزة النفس، فمنافع الإسلام لا ريب فيها، وفوائده من أعظم أركان المدنية ومبانيها». وقال الفيلسوف الذائع الشهرة توماس كارليل في كتابه (الأبطال): «لقد أصبح من العار على أي فرد متمدن من أبناء هذا العصر أن يصغي إلى ما يظن من أن دين الاسلام كذب، وأن محمداً خداع ومزور، وآن أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة، فإن الرسالة التي أداها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثني عشر قرنا لنحو مائتي مليون من الناس خلقهم الله الذي خلقنا، إلى أن قال «لقد جاء الاسلام على تلك الملل الكاذبة والنحل الباطلة فابتلعها وحق له أن يبتلعها، لأنه حقيقة خارجة من قلب الطبيعة، وما كاد يظهر الاسلام حتى احترقت فيه وثنيات العرب وجدليات النصرانية، وكل ما لم

---

(١) عن مجلة البيان العدد الثالث السنة السابعة صفحة ١٤٥.

يكن بحق فإنه حطب ميت أكلته نار الاسلام ، فذهب والنار لم تذهب ، وقال فى الخاتمة أيضا :

« لقد أخرج الله العرب بالاسلام من الظلمات إلى النور ، وأحيا به من العرب أمة هامدة فقيرة تجوب الفلاة مذ بدء العالم لا يسمع لها صوت ولا تحس منها حركة ، فأرسل الله لهم نبياً بكلمة من لدنه ورسالة من قبله ، فإذا الخمول قد استحال شهرة ، والغموض نباهة ، والضعة رفعة ، والضعف قوة ، والشرارة حريقا وشع نوره الأنحاء وعم ضوءه الأرجاء وعقد شعاعه الشمال بالجنوب والمشرق بالمغرب » .

هذه آراء بعض حكماء الغرب فى الاسلام ورسوله وشريعته . وفى العالم من أمثالهم عدد لا ينكر ضوء الشمس ولا تأخذهم فى الحق لومة لائم ، وإن كان فيه من أضدادهم أضعاف هؤلاء ، ولكنهم قوم دأبهم العناد لا يقرون حقاً ولا يؤيدون عدلا ولا يفهمون حجة ، أولئك الذين يقول فيهم ذلك الفيلسوف الطائر الصيت جان جاك روسو فى عرض دفاعه عن الاسلام والقرآن ما نصه : « من الناس من يتعلم قليلا من العربية ثم يقرأ القرآن ويضحك منه ، ولو أنه سمع محمداً وهو يمليه على الناس بتلك اللغة الفصحى الراقية ، وصوته المشبع الذى يطرب الآذان ويؤثر فى القلوب ، والتفت إلى أنه كلما بدت أحكامه أيدها بقوة البيان ،

وفصاحة اللسان ، لخر ساجداً على الأرض وناداه : أيها النبي رسول الله خذ بيدنا إلى موقف الشرف والفخار ، أو إلى مواقع التهلكة والأخطار ؛ فنحن من أجلك نود الموت أو الانتصار » .

هذه كلمات صادرة عن إيمان وقر فى النفس ، فظهر أثره وشع نوره ، وما يتذكر إلا أولو الألباب ، وسبحان الله والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، اللهم انفعنى بما علمتنى ، وعلمنى ما ينفعنى ، وارزقنى علماً ينفعنى . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

انتظروا قريباً للمؤلف

كتاب مواكب الأفراح إلى عالم الأرواح

من موضوعاته — أين الروح بعد مفارقة الجسد ، مخاطبة الأرواح — سعادة الروح وشقاؤها وكل ما يتعلق بالحياة الثانية فى البرزخ والحشر .

فهرست الكتاب

صفحة

مقدمة الطبعة الثالثة . . . . . .
« « الثانية . . . . . .
من هدى القرآن ٧
بلاغة القرآن ١٤
كلام الله أولى بالإصغاء ١٧
مبحث الإيمان ١٨
الملائكة ٢٢
الكتب المقدسة ٢٣
الإيمان بالرسل ٢٦
قصة أيوب عليه السلام ٢٩
الرضا بالقضاء ٣٥
حب الخير ٤١
حقيقة الإيمان ٤٢
الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ٤٤
رضاء / الق ٥١
كيف ترشد الجاهل ٥٧
الطهارة ٥٨
كيفية الوضوء ٥٩
كيفية الغسل ٦٢
إسلام أبى ذر الغفارى ٦٣

صفحة

التيمم ٦٧
المسح على الجبيرة ٦٩
القناعة ٧٠
الأمانة ٧٢
الصلاة ٧٦
الخشوع روح الصلاة ٨١
كيف تصل إلى الله ٨٣
النذور وما قيل فيها ٨٧
عذاب القبر ٩٣
اتق دعوة المظلوم ٩٦
الظالم والمظلوم ٩٩
الإسلام وبدعة الاغتيال ١٠١
القاتل والمقتول فى النار ١٠٦
فى ظلال الأمن تسعد البلاد ١٠٩
الحلم والغضب ١١١
المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده . . . ١١٦
الإصلاح بين الناس ١١٩
المريض ١٢٢
بر الوالدين ١٢٥
ثمن الجنة ١٢٩
سباق الخيل ١٣٢

صفحة

لماذا لا يجاب الدعاء ١٣٤
معالم الهجرة ١٣٥
شعائر عيد الأضحى ١٤٠
موازنة بين الإسلام وغيره من الديانات الأخرى . . ١٤٦
مدح الفلاسفة للاسلام ونبي الاسلام ١٦٣
دفاع الفيلسوف جان جاك روسو عن الإسلام . . . ١٦٤
الفهرست ١٦٦

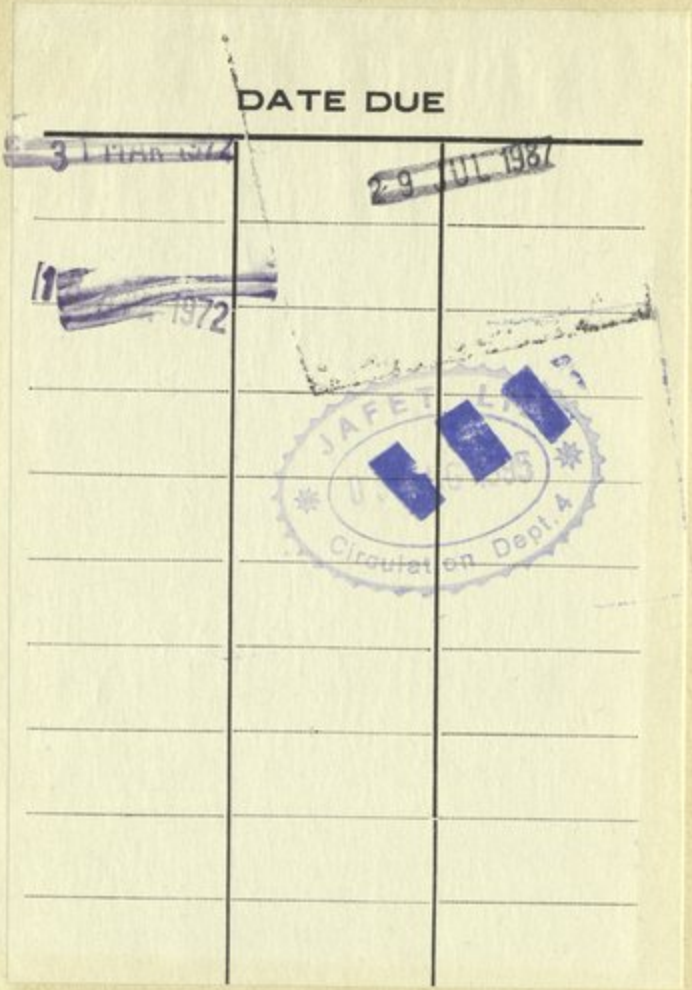
DATE DUE
31 MAR 1972
29 JUL 1987
1972
Circulation Dept.4

297.48:R56gA:c.1
رفاعي، علي
غذاء الارواح
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01010962

297.48
R56gA

297.48
R56gA
c.1